الراهب هو:
من يحاسب نفسه ويبكتها

{١}
مار إسحق السرياني

📖 ٣- الكنز غير المسلوب المُقنِي الحياة، هو قدرة الإنسان أن يعرف ذاته ومنزلته، ويتميز في آخرته.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الخامس - صفحة ١٥٧

📖 بكِّت نفسك دائماً، أيها الأخ، وقل لها: ويحكِ أيتها النفس الشقية، لقد دنا أوان انحلالك من الجسد، فلماذا تفرحين بما أنتِ عتيدة اليوم أن تتركيه، الذي إنما تتنعمين بمنظره وقتاً يسيراً وتعدمينه إلى الأبد؟

📖 انتبهي لما هو قدامك، وفكِّري فيما قد صنعتِ وكيف، ومع مَن قد أمضيتِ أيام حياتك، ومن هو القابل تعب أعمال فِلاحتكِ؟

📖 ومن ذا أبهجتِ بجهادك لكي يخرج للقائِك في وقت انتقالك؟

📖 ومَن ذا فرَّحتِ بسعيك حتى تستريحي في مينائه؟

🕮 ولمن شقيتِ وتعبتِ حتى تلتقيه بفرح؟
🕮 وأي صديق اقتنيت لك في الدهر الآتـي، لكـي يـأتي الآن ويستقبلك عند خروجك؟ في أي حقل استأجرتِ نفسك، ومن الذي سيدفع لك الأجرة عند غروب شمس حياتك؟

🕮 يا نفسي، اختبري ذاتك، وانظري في أي أرضٍ سيكون نصيبك، وإن كنتِ قد عبرتِ {قضيتِ عمرك} في الحقل الذي يثمر للذين يفلِّحونه مَرارة، فاصرخي واهتفي بتنهدٍ وتوجع إلى الله تعالى بهذه {الكلمات} التي يرتاح إليها ويرضى بها أكثر من الذبائح والمحرقات.
🕮 وليَفِضْ فمُكِ بأصواتٍ حزينةٍ، تلك التي يطرب لها الملائكة القديسون، اصبغي خدَّيكِ بالبكاء لكي يحل فيكِ الروح القدس ويغسلكِ من وسخ رذيلتكِ.
🕮 استعطفي الرب بالدموع لكي يأتي إليك {لمعونتك}، استدعي مريم ومرثا لتعلماكِ النوح، اصرخي إلى الرب الباكي على لعازر، المتعطف على انسجام العبرات.
مار إسحق السرياني - الميمر الثالث عشر {م١٤} - الجزء الثالث - صفحة ١٤٢ - ١٤٣

🕮 وكل يوم لا تجلس فيه ساعة مع نفسك، وتتفكر بأي الأشياء أخطأت، وفي أي أمرٍ سقطت، وتقوِّم ذاتك فيه، فلا تحسبه من عداد أيام حياتك.

🕮 [٢٦] بعد أن يقتني العقل الحكمة الروحية، فهو يرى نفسه. في الواقع، أنه بدأ يكتشف عيوبه بسرعة. وكما أن معرفة عيوبنا تكشف لنا إذا كُنَّا نشعر حقاً بالحكمة، بالمثل فمن غياب الحكمة يتبيَّن بوضوحٍ من حقيقة أن الشخص لا يشعر بنقائصه.
ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الثانية - صفحة ٦٥٩

📖 **[٨٤]** إذا جلستَ بين صلوات الأوقات، وشغلتَ ذهنك بالهذيذ بـالله، فافتكر أيضاً كيف أتيتَ للوجود، بينما لَم تكن موجـوداً مـن قبـل، مـا الذي عملتَه لكي تصبح موجوداً، أو كمـا يقـول الكتـاب: اِسـألْ نفسـك كيف خُلقتَ في بَهاءٍ منذ البداية، وكيف صرتَ رديئاً بإرادتك، بسـبب أكلك من الشجرة – التي مازلتَ تأكل منهـا أيضـاً كـل يـوم، وتتحـوَّل إلى الشرّ بغوايـة المُخـادع، مـع أنـك لَـم تُخلَـق لِهـذا الهـدف مـن قِبَـل الخالق.

📖 وتأمَّل أيضاً ما الذي صرتَ إليـه بإرادتـك، ومـا وجـدتَ نفسـك فيـه الآن من حاضرٍ بلا رجاء، ولكـن تأمَّـل أيضـاً إلـى أي رجـاءٍ دُعيـتَ فجأةً، بكثرة تَحنُّن ذاك الـذي دعـاك فـي المسـيح يسـوع ربنـا، وأعـاد إليك بَهاء خلقتك الأولَى في الله، مـع أنـك كنـتَ مُقيمـاً فـي عصـيانك، ومُداوماً في السقطة التي وقعتَ فيها.

📖 أما هو فلم يَهملك، بل ظلَّ يقوتك مـن خيراتـه دون توقُّـفٍ، ثُـمَّ أتـى لكي يُعيد لكَ الحياة، بينما كنتَ أنتَ لا تعرف ما هو مطلوبٌ منك.

📖 ثُمَّ فكِّر أيضاً فيما أنتَ عليه الآن في هذه الحياة، وماذا سيطرأ عليك بعد وقتٍ قليل، وإلى أي فسادٍ سينتهي تركيبك، وكيـف ستصـبح فيمـا بعد في حالٍ، غير ما أنتَ فيه الآن، دون تذكُّرٍ، ودون اسمٍ، أو تذكارٍ في جَميع المنازل اللاحقة في ذلك العالَم.

📖 ولكن ماذا أقول؟ أي عجب؟! من أي فسادٍ تنتقـل إلـى حالـة مَجيـدة! في أي مَخدعٍ من ذلك القصر! بـل وأيـة مقارنـة يُمكـن أن توجـد بـين الأشياء الحاضرة هنا، وتلك المستقبلة فـي العـلاء، وبـين نَمـط الحيـاة الزمنية وتلك الكائنة هناك، وبين أفكارنا، والمعرفـة، والرؤيـة الجليّـة التي تكون لنا؟

📖 وقـد ذكـرتُ أمـوراً كثيـرة بِهـذا الخصـوص فـي الرسـالة إلـى أحـد التلاميذ، التي تصلح لأن تكون مقدمة لتأمُّلٍ نافعٍ على سيرة السكون.

في تلك الأوقات داوم على السجود في الصلاة أينما كنتَ، مُمجِّداً ذاك الذي أتى بكَ من العدم إلى الوجود، ومن تركيبٍ قابل للفساد إلى ذلك المَجد في الحياة السامية المَجيدة.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثانية ـ صفحة ٦٧٤



📖 **قال مار إسحق:**

📖 "إذا ما أفرزت نفسك للتوبة، فكل يوم لا تصادفك فيه محقرة، لا يكون له حساب عندك {ربح}. وكل يوم لا تجلس فيه ساعة بينك وبين نفسك، متفكرا بأي الأشياء أخطأت، وبأي أمر سقطت، لتقوم ذاتك فيه، فلا تحسبه من عداد أيام حياتك.

📖 الويل لمن لا يبكي، ولا يتضايق، ولا ينقي عيوب نفسه، ما دام هناك وقت للتوبة، لأنه هناك بغير إرادته بأمواج النار ينقيها، حتى يوفي أخر فلس عليه، الذي هو الزلة الصغيرة".

📖 "كن مضيقاً على نفسك ومحزناً لها لكيما ينطرد العدو من أمامك".

📖 "اصطلح أنت مع نفسك، فتصطلح مع السماء والأرض".

📖 "افحص ذاتك باستقصاء، وانظر بأي نوع زلت، واطلب من الله إن يغفر لك".

📖 "دن نفسك وحدك في أعمالك، حتى لا تنخدع بالإهمال والتهاون".

📖 "افحص كل يوم فيم أنت عاجز فيه، لئلا تتعب وقت شدتك".

📖 "الإنسان الذي يغصب ذاته دائماً. ليتدبر بمقتضي حكم النية، لن يخطئ بلا توبة". "من كان قلبه غير منسحق {بالتوبة}، وغير محزون {بالتجارب} من الله، فلن ينعتق من الطياشة".

📖 "من يصالح نفسه أخير ممن يصالح شعوباً، وهو مغتصب، منقسم على ذاته".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٥ ـ ٢٨٦



📖 **أنب ذاتك دائماً يا أخي وقل:**

📖 "ويحي أيتها النفس الشقية، لقد حان أوان انحلالك من الجسد، فلماذا

تتنعمين بهذه الأشياء التي ستغادرينها اليوم، وتحرمين من مشاهدتها إلى الأبد؟ انتبهي لما هو آت، وفكري بماذا فعلت وكيف؟

🕮 ومع من قضيت أيام حياتك، ومن هو الذي قبل تعب أعمال فلأحتك؟ ومن هو الذي فرحته عندما كنت تصارعين ليخرج للقائك يوم انتقالك؟ من فرحت في مسيرك حتى تستريحي في مينائه؟

🕮 من أجل من تعبت، حتى يستقبلك عند خروجك؟

🕮 في أي حقل اشتغلت، ومن الذي سيدفع لك الأجرة عند غروب شمس حياتك؟ افصحي ذاتك يا نفسي، وانظري في أي أرض سيكون نصيبك. إن كنت قضيت عمرك في الحقل الذي يثمر مرارة لفعلته، فاصرخي ونادي بتنهد وغم، لأن هذا يسر الله أكثر من الذبائح والمحرقات. فليفض فمك بأصوات العويل، التي يسر بها الملائكة القديسون. ادهني خديك بدموع عينيك، لكي يستريح فيك الروح القدس، وينقيك من دنس شرك. استغفري الرب بالدموع لكي يقبل إليك. تشفعي إلى مريم ومرتا لكي تعلماك أصوات النوح.

واصرخي إلى الرب

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثانية ـ صفحة ٢٢

محاسبة النفس

🕮 **كتب أحد الشيوخ:** على حائط قلايته أقوالاً، وأفكاراً متنوعة.

🕮 وعندما سئل عنها أجاب: "هذه أفكار البر التي يوحيها إلىَّ الملاك الماكث معي، والأفكار المستقيمة النابعة من ذاتي. أكتبها كلما خطرت لي، حتى إذا أحاطت بي الظلمة أتأمل بها" فتنقذني من الضلال".

🕮 **شيخ آخر:** كانت أفكاره تداهمه بقولها: "لقد أهلت للرجاء الآتي بدل هذا العالم الزائل". وكان يجيبها: "باطلاً تمدحونني، فإنني ما أزال سائراً في الطريق، ولم أبلغ منتهاها بعد".



الأنبا إشعياء الإسقيطي

إذا كانت أيامنا قد أتى فيها الغضب على العالم، فلا تجزعوا من جهة كل ما تسمعونه، ولكن قولوا في قلوبكم: وماذا يكون هذا بالمقابلة مع الموضع الذي نستحق ان نذهب إليه بسبب خطايانا؟

ان الذين يجتذبونني ما زال لهم ثمارهم داخلي، وجميع أعمالهم تتحرر في قلبي، والذين يطرحونني في النار مازالوا يشاغبون في جسدي أملين ان يصنعوا أثماراً.

لم يعد يشدد الآخرين لتحمل الضجر، ولا صار له اهتمام بالأكل، لا يلتفت إلى عطف الذين يرثون لحاله، لكونه لا يحس بمذاق عطفهم لحزنه، كونه أخطأ في كل شيء، انه لا يرد بغضب على الذين يهينونه، ويحتمل الآلام مظهراً انه مستحق لها، "ضحكة الأسنان قد ابتعدت عنه" {سي ١٩: ٣}، وهو يهز

رأسه متأوهاً لأفتكاره في كرسي القضاء المزمع ان يظهر أمامه.

إذا سمع كلاماً لا يقول: حسناً أو بأس. فسواء كان جيداً أو رديئاً، لم تعد أذنه تصغي لذلك، تسيل أجفانه دموعاً لسبب الآلام التي تضغطه، وان كان من عائلة نبيلة، فانه يتكدر بالأكثر بسبب الخجل أمام الذين سيرونه عند الحكم ... لا تجده ينتبه إلى الحاضرين ان كانوا صالحين أم أشراراً، كما لا يهتم ان كان آخرون يشاركونه القيود، ولا يفحص معهم تدبيرهم الذي يتدبرون به، لان كل واحد سيحمل حمل نفسه.

افحص كل يوم وفتش أي ألم غلبت، ولا تطمئن لنفسك لأن الرحمة والقوة هي للـه، لا تحسب نفسك أمين إلى النسمة الأخيرة لئلا تفتكر بالعظائم كمثل أنك صالح، ما تستطيع أن تطمئن لأعدائك، لا تثق بنفسك ما دمت بالجسد إلى حيث تجوز بجميع سلاطين الظلمة.

{٣}

القديس الأنبا برصنوفيوس

يجب أن تتفطن لأفكارك وتقول لنفسك كيف أجزت الليل وكذلك عند المساء تقول كيف أجزت النهار ... وإذا ثقل عليك فكر فتفطن فيه من أين جاءك.

والطاعة وهي أيضا مطفأة لجميع سهام العدو المحماة، أنظر لنفسك وأعلم أن الموت لا شك سيأتيك، وقل لنفسك القول الذي كان يقوله القديس أرسانيوس: "أرساني. أرساني أنظر الأمر الذي بسببه خرجت إلى البرية، أنظر أي شيء جئت تعمل ههنا. فإن كنت جئت تطلب المسيح فأسرع لتدركه، فإن أردت أن تنجو فحرك رجليك حتى تلحق مجمع الآباء القديسين. إن كنت جئت لتنجو فاعمل لأن تكون في النور، لا في الظلمة وصرير الأسنان".

قال القديس برصنوفيوس:

"إن نحن أتضعنا، فإن الرب يطرد عنا الشيطان؟ لذلك يجب علينا أن نلوم أنفسنا في كل حين، وفي كل أمر، لآن هذه هي الغلبة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٠



{٤}

القديس يوحنا السلمي

📖 لا نظن يوما إننا قد امتلكنا صلاحا ما، بل فلنفحص ذواتنا باجتهاد لنتبين، ما إذا كانت مزية ذلك الصلاح هي حقاً فينا، وإذ ذاك نفطن إننا مقصرون جداً عن امتلاكه.



{٥}

كتاب فردوس الآباء

📖 **قال شيخٌ:**

📖 يجب على الراهب في كل مساءٍ وكل صباح أن يحاسب نفسه قائلاً: ماذا فعلنا مما يريده الله، وماذا فعلنا مما لا يريده الله؟

📖 وهكذا يقدِّم توبةً، وهذا هو ما يجب أن يفعله الراهب كل أيام حياته، كما كان يعيش أبّا أرسانيوس.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٣٥



📖 **كما قال أبّا إبيفانيوس:**

📖 جيدٌ للراهب أن يعيش مثل أنبا أرسانيوس.

📖 فاحترس كل يوم أن تقف أمام الله بلا خطية.

📖 واقترب منه بدموع، كما فعلَتْ المرأة الخاطئة. وصلِّ للرب إلهك كأنه واقفٌ أمامك، لأنه قريبٌ وينظر إليك باهتمام.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٣٥



📖 **البابا ثيئوفيلس:**

📖 ذهب مرةً أنبا ثيئوفيلس بطريرك الإسكندرية إلى جبل نتريا - أي جبل النطرون - وجاء أب الجبل ليقابله.

📖 فقال له البطريرك: ما الذي وجدتَ أنه أفضل شيء في هذه الطريقة من الحياة التي تعيشونها؟

📖 فقال له الشيخ: لا يوجد أفضل من أن ألوم نفسي وأوبخها في كل شيء. فقال له البطريرك: هذه هي الطريقة التي ما بعدها شيء.

كتاب فردوس الآباء - البابا ثيئوفيلس البطريرك - الجزء الثالث

📖 **قال أنبا أغريبيوس:**

📖 رأس الحكمة هو ذلك الوقت الذي فيه تلوم نفسك وحدك.

كتاب كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - القديس الأب أغريبيوس - الصفحة ٢٥٥

📖 **قال شيخ:** تركنا الطريق المستقيم الذي ذكره آباؤنا، وهو أن نلوم أنفسنا، ورجعنا بالملامة على القريب، وكل واحد منا يحرص ويجتهد أن يلوم أخاه في كل أمر، ويطرح ثقله على قريبه.

📖 وكل واحد منا يتهاون ولا يحفظ شيئًا، ونطالب قريبنا بحفظ الوصايا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٩٢ - ٤٩٣

📖 **قال شيخ:** لو نظرنا إلى خطايانا، لما نظرنا إلى خطايا غيرنا، لأنه مَنْ ذا الذي يدع ميته، ويبكي على ميت غيره؟

📖 خطية الإنسان هي موت نفسه.

📖 **زار أخٌ شيخًا وقال له:** كيف حالك؟

📖 فقال الشيخ: أسوأ الأحوال.

📖 فقال له الأخ: ولِمَ ذلك؟

📖 فأجابه: لأن لي ثلاثين سنة وصلاتي علي، وليست لي، لأنني أقف أمام الله وألعن ذاتي، وأقول ما لا أشتهي أن يخرج من فمي.

📖 فأقول: «ملاعين الذين حادوا عن وصاياك» وأحيد أنا عن الوصايا، وأفعل الآثام وأقول: «لا تتراءف على فاعلي الإثم»،

📖 وأكذب كل يوم وأقول لله: إنك «تُهلك كل مَنْ يتكلم بالكذب»،

وأحقد وأقول لله: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا». وأُخطئ وأقول: «عندما يزهر الخطاة، ويعلو جميع فاعلي الإثم هناك يُستأصلون إلى الأبد».

وأفعل الإثم وأقول: «أبغضتَ جميع فاعلي الإثم»، وهمّي كله في الأكل. وأقول بين يدي الله: «نسيتُ أكل خبزي»، وأنام إلى الصباح.

وأقول: «كنتُ أنهض في نصف الليل لأسبحك»، وليس لي خشوع، ولا دموع. وأقول: «تعبتُ في تنهدي، وصارت دموعي لي خبزًا نهارًا وليلاً، وبدموعي أبل فراشي».

وأفكر أفكارًا خبيثة، وأقول لله: «ما يتلوه قلبي هو لديك كل حين».

وليس لي صوم، وأقول: «ركبتاي ضعفتا من الصوم».

ونفسي متكبرة، وجسدي مستريح، وأقول لله: «انظر إلى تواضعي، وتعبي واغفر لي جميع خطاياي».

ولا استعداد لي، وأقول: «مستعدٌ قلبي يا إلهي»!

فقال الأخ: يا معلم، على ما يلوح لي، أن النبي قال ذلك عن نفسه.

فتنهد الشيخ وقال: صدقني يا بُنيَّ، إن لم نعمل نحن بما نصلّي به قدام الله، فصلاتنا تكون علينا لا لنا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٩٣

في أحد الأوقات طرق شيخ على أخوين حزينين من بعضهما.

فقال أكبرهما: إنني آمر أخي هذا بشيء فيحزن منه، وأحزن أنا لحزنه، متذكرًا أنه لو كان كاملاً في محبتي، لكان يقبل ما أقوله له بفرح. وقال الأصغر: إنه لا يكلمني بحسب مخافة الله، ولكنه يأمرني بسلطان حسب مشيئته، ولذلك لا يتحقق قلبي أنه يفعل حسب أقوال الآباء.



📖 فقال الشيخ: يعلم الله أنني حائرٌ، إذ كيف يلوم كل منهما الآخر، وهما حزينان؟! فأحدهما بدلاً من أن يلوم نفسه، ويقول إنه يكلّم أخاه بسلطان، ولذلك يحزن، يقول إنه لم يكن كاملاً في محبتي.

📖 والآخر، بدلاً من قوله إن أخاه يكلّمه حسب مشيئة الله ولمنفعته، يقول إنه يأمره بسلطان حسب مشيئته، ولذلك ظل الاثنان حزينين.

📖 وهكذا نستعمل أقوال آبائنا باعوجاج حسب نياتنا الخبيثة، وكل واحد منا يُلقي بالذنب على رفيقه، ولذلك لا ننجح ولا نُفلح.

📖 **أخبر أحد الآباء:** أنه كان يسكن بالقرب منه أخٌ عمّالٌ مع الله، ثم اعتراه تواني وكسل. وبعد مدّة انتبه من توانيه، ولامَ نفسه قائلاً: يا نفسي، إلى متى تتوانين عن خلاصك؟ أما تخافين من دينونة الله يا شقية، وأنت في هذا التواني، فتُسلَّمين للعذاب الدائم؟

📖 ولما تفكّر في مثل ذلك، أنهض نفسه في عمل الله.

📖 **سأل أخٌ شيخًا:** كيف تقتني النفس الفضيلة؟

📖 فقال: إن هي اهتمت بزلاتها وحدها.

📖 **توجّه راهبان إلى أحد الشيوخ:** وكان أحدهما شيخًا والآخر شابًا.

📖 واشتكى الأكبر من الأصغر.

📖 فنظر الشيخ إلى الشاب وسأله: هل صحيح هذا الذي قاله عنك؟

📖 فقال: نعم يا أبانا، فقد أحزنته.

📖 ثم تفكّر الشاب في قلبه متندّمًا وقال: هو الذي أحزنني، وأنا أتيتُ بالملامة على نفسي. ولم يستطع أن يقول شيئًا آخر.

📖 ثم رفع الشيخ الكبير صوته صائحًا.

📖 فسأله الحاضرون: لماذا صحتَ يا أبانا؟

📖 فأجاب: عندما دخل هذان الراهبان، رأيتُ زنجيًا واقفًا أمامهما وبيده قوس مصوَّب نحوهما، وكان القوس لا يصيب إلاّ ثيابهما.

ولما تذمّر الشاب صوّب الزنجي القوس نحوه وكاد أن يقتله، لذلك صرختُ خوفًا من قتله.

فطلب الراهبان من الشيخ أن يُشفَى كل منهما من ذلك العارض.

فقال لهما الشيخ: متى حدثت خصومة بينكما، فتذكّرا ذاك الزنجي، فيكفّ تأثير الخطية عليكما.

فانصرفا وفعلا هكذا فشُفيا.

قال شيخ: أشرف أعمال الرهبنة: أن يحتقر الإنسان نفسه دائمًا، ويأتي باللوم عليها.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٩٣

{٦}
مار إفرام السرياني
في ذكر الآباء المتوفين

يوجعني قلبي، فتوجعوا معي يا إخوتي العبيد المباركين.

تعالوا فأسمعوا أن نفسي توجعني، وجوانحي تؤلمني.

أين الدموع؟ وأين التخشع؟ حتى أحمِ جسمي بالدموع والزفرات.

من ذا ينقلني، ويخلصني من مكان غير مسكون، حيث لا يوجد ألبته صوت أبناء البشر، حيث يكون الصمت، وعدم جلبة.

حيث لا يكون رهج يقطع الدموع، ولا مفاوضة شعب تعوق البكاء.

فكنت أرفع صوتي، وأبكي لدى الإله بعبرات مرة، وأقول بزفرات: أشفيني يارب لكي أبرأ، لأن قلبي يوجعني فوق الإفراط، وزفراته لا تتركني لحظة أن أنال راحة. لأنني أعاين قديسيك كذهب منتخب، تأخذهم من هذا العالم الباطل إلى نياحة الحياة.



📖 بمنزلة الفلاح الفهيم العاقل، الذي إذا رأى الأثمار بالغة حسناً، يقطعها بإسراع لئلا تضرها عوارض ما، وتفسدها، هكذا أنت أيها المخلص تجمع المصطفين العاملين أعمالهم ببر. ونحن الوانيين والمسترخين بالنية تبقينا في قساوتنا، وثمرنا لا يتغير عن ماهيته.

📖 لأن ليس له نية ليبلغ في الأعمال بلوغاً حسناً، ويقطف كما يليق.

📖 ويجعل في مخزن الحياة.

📖 لأن ثمرنا ليس له دموع، لتوصله إلى تناهي البلوغ.

📖 ولا تخشع، لتتناهى نضارته من نسيم العبرات.

📖 ولا تواضع، ليظلله من الحر الكثير.

📖 ولا هجر قنية، لينتقل من الأمور المضادة.

📖 ولا محبة الله، الأرومة القوية الحاملة الثمر.

📖 ولا عدم الاهتمام بالأمور الأرضية. ولا سهر.

📖 ولا عقل متيقظ في الصلاة.

📖 فعوض هذه الأشياء الحسنة، والفضائل الصالحة له أضدادها غيظ مذموم. وغضب ييبسان الثمر لئلا ينمو فينتفع به.

📖 وكثرة قنية. والضجر العظيم ينقلانه إلى أسفل.

📖 هذه المصائب كلها تشتمله، ولا تتركه ينتهي إلى البلوغ كما يليق ليستوي، ويصلح لصاحبه الفلاح السماوي. ويلك، ويلك يا نفس، تكلمي وأبكي إذ فقدت بسرعة الآباء الكاملين، والنساك الأبرار.

📖 أين الآباء؟ أين الكاملون؟ أين القديسون؟ أين المستفيقون؟

📖 أين المتيقظون؟ أين المتواضعون؟ أين الودعاء؟ أين الصامتون؟

📖 أين الساكتون؟ أين المتورعون؟ أين العادمون القنية؟

📖 أين المتخشعون المرضون لله، الذين كانوا يقفون في الصلاة النقية قدام الله كملائكة، منيرين يبكون حتى يبلوا الأرض بعبرات الخشوع الحلوة؟ أين المحبو الله المملئون محبة، الذين لم يقتنوا شيئاً على الأرض، بل حملوا صليبهم، وأتبعوا المخلص أتباعاً دائماً.



📖 وسـلكوا فـي الطريقـة الضـيقة، متـأملين حـذرين أن يسـقطوا فـي الهفوات. أو في برية غير مسلوكة، وفاقدة الماء، ومظلمة.
📖 بل سلكوا طريق الحق الممهد، طريق وصايا الرب.
📖 سائرين في الطريق المملوء استتار، إلا وهو أوامر المسيح.
📖 خادمين اللـه بسيرة حسـنة وبحـرارة، حزنـاء باختيـارهم فـي العـالم الباطل. فلهذا أحبهم اللـه جداً، وضمهم إلى ميناء الحياة، وإلـى الفرح الخالد وليستبشروا هناك، ويتنعمـوا فـي فـردوس النعـيم، وفـي خجلـة الختن الباقي، لأنَهم ساروا من هنا بفـرح إلـى الإلـه القـدوس، ومعهـم المصابيح معدة.

📖 فليس فينا نحن فضيلة أولئك، ولا نسكهم، ولا حميتهم، ولا مسـكهم، ولا تـرتيبهم، ولا ورعهـم، ووداعـتهم، وتخشـعهم، ولا زهـدهم فـي القنية. وليس لنا سهرهم. وليست فينا محبة اللـه. ولا تحنن الإله.
📖 ولا تألم الأعضاء. لكننا متنمرون، غير مستأنسين.
📖 ولا يحتمل بعضنا بعضاً ألبته.
📖 فألسنتنا هي محمية، نتكلم بِها على بعضنا البعض.
📖 كلنا نلتمس الكرامة، ونؤثر التشرف. ونبتغي الراحة لأنفسنا.
📖 ونحب القنيات. نحن مسترخون، غير مثابرين على الصلوات.
📖 أقوياء في الهذيان، وفي الدوران غير خاضعين.
📖 ضعفاء في السكوت. نشيطون إلى التنعم.
📖 مقطبون في الحمية، والمسك. باردون في المحبة.
📖 حارون في الغضب. عاجزون في الصالحات.
📖 حرصون في السيئات.

📖 ترى من لا ينتحب، من لا يبكي على محبتنا الموعبة رخاوة.
📖 إن أولئك الآباء إذ صاروا قبلنا مرضين للرب خلصـوا أنفسـهم، مـا

كانوا متراخين، ولم يتخذ الكاملون فكرين، لكن فكراً واحداً، وهو كيف يخلصون. وكانوا مرآة صافية للناظرين. وكان الواحد منهم يستطيع أن يبتهل إلى اللـه من أجل أُناس كثيرين.

🕮 واثنان منهم إذا وقفا أمام اللـه في الصلوات النقية، كانا يقدران أن يستعطفا الإله المتعطف، كما يليق عن ألوف أناس. ويلك يا نفس في أي زمان أنت.

🕮 ويلنا يا أحبائي، إلى أية حمأة المساوي بلغنا، ونحن نريد أن ينكتم أمرنا، ولكون ناظر النفس لا يتيقظ من كثرة العمي والتنزه، فلذلك لسنا قادرين أن نتأمل الحزن المنصوب.

🕮 ها الآن الأبرار والصديقون يُختارونَ، ويجمعون إلى ميناء الحياة، لكيلا يعاينوا الحزن، والشكوك التي تتبعنا من أجل خطايانا.

🕮 كان أولئك ينتحبون، ونحن نتناعس.

🕮 أولئك يجمعون، ونحن نتناوم.

🕮 أولئك يحفظون، ونحن ننجذب إلى العالم الباطل.

🕮 أولئك يذهبون إلى اللـه بدالة، ونحن نتنزه على الأرض.

🕮 حضور الرب قد وقف على الأبواب، ونحن نتشكك ونتقسم.

🕮 الصوت السماوي متهيئ أن يبوق بأمر الرب، ويزعزع الكل بصوته المفزع، فينهض الموتى ليستوفي كل أحد نظير عمله.

🕮 قوات السماوات مستعدة وقوفاً في مواكبهم، أيوافوا بتقوى أمام الختن، إذا جاء بمجد في سحب السماء ليدين الأحياء والأموات، ونحن غير مصدقين.

🕮 أترى كيف نكون يا إخوتي في تلك الساعة المخوفة؟

🕮 كيف نعتذر إلى اللـه هناك عن توانينا في خلاصنا؟

🕮 إن لم نحرص الآن ونبكي بوقاحة، ونتوب توبة حسنة، بتواضع نفس، ووداعة كثيرة، فكم كل واحد منا مزمع أن ينتحب في

ضغطته؟ وإذا تندم يقول بدموع غزيرة: ويلي أنا الخاطئ، ماذا داهمنى بغتة؟ كيف عبر عمري وغاب عني بالجملة؟

كيف سُرق زماني أنا المتنزه الطموح؟ أين تلك الأيام الهادئة، التي قضيتها في التنزه حتى أتوب بمسوح ورماد؟ لكن لا ينتفع من كثرة هذه الأقوال.

وإذا شاهدنا القديسين يتطايرون بمجد في السحب، سحب الأهوية لاستقبال الرب ملك المجد، ونعاين ذاتنا في ضغطة عظيمة.

ترى من منا يستطيع أن يحتمل ذلك الخزي، والتعيير المض؟

فلنفيق يا إخوتي. فلنستفق يا أحبتي. ولنتيقظ أيها المحبو الله.

ولننهض يا خلان الله. أيها الأولاد المحبوبون من الإله الآب، لنصغين إلى ذاتنا، ولنجمعن أفكارنا قليلاً من هذا العالم الباطل، ولنبحث أمام الله بعبرات غزيرة، متضرعين بوقاحة وحرص، وزفرات قلب، لينجينا من النار التي لا تطفأ، والعذاب المر، لئلا نفارق السيد الحلو الذى أحبنا، وبذل ذاته على الصليب من أجلنا.

وأنا غير المستحق الخاطئ، أتضرع إليكم وأطلب إلى جماعتكم، أن تذرفوا من أجلي دموعاً في صلواتكم، وطلباتكم النقية، طالبين لي التخشع لأبكي معكم، وليستضئ قليلاً قلبي الأعمى.

وأطلب إلى الإله المخلص القدوس، لكيما يعطيني نشاطاً وحرصاً، فأتوب ما دام يوجد وقت تقبل فيه الدموع، وأخلص معكم. يا إخوتي أنا غير مستحق الحياة. يا أحبتي أطلب إليكم أن تقبلوا استغاثة إفرام الخاطئ أخيكم المسترخي، ولنحرص كلنا أن نستغفر الإله القدوس ما دام لنا زمان، لأن ها الرب قد وقف على الأبواب ليفني العالم الباطل. وله السبح إلى الأبد. آمين

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة السابعة ـ حكم ـ صفحة ٩٩ ـ ١٠٢



{٨}

ثيئودورس الناسك العظيم

📖 ومن خلال الأفكار الجيدة يجب أن يمارس باستمرار التأمل الإلهي.

📖 يجب أن يمتحن نفسه يومياً فيما يتعلق بأفكاره، وأفعاله الشريرة، ويجب أن يصحح أي أخطاء. يجب ألا يصبح مفتخرا بسبب إنجازاته، ولكن يجب أن يدعو نفسه بـ «عبد بطال» {ق.م. لو ١٧ :١٠}، بكل تأخره عن إنجاز واجباته. يجب أن يشكر الله، وينسب إليه فضل تحقيق إنجازاته. ولا يفعل شيئاً على الإطلاق من {أفعال} البر الذاتي، أو حب الشعبية، ولكن افعل كل شيء في السر، وابحث عن المديح فقط من الله {ق.م. رو ٢ :٢٩}.

📖 وقبل كل شيء، وفي كل الأشياء، يجب أن يُحصن نفسه بالكامل بالإيمان الأرثوذكسي، طبقا لعقائد الكنيسة المقدسة الجامعة، كما تم تعليمها بواسطة حاملي الرسالة المقدسين الرسل، وبواسطة الآباء القديسين، عظيمة هي مكافأة من يعيشون بهذا الأسلوب. إنهم يأخذون الحياة الأبدية ومسكنا لا يفنى مع الآب، والابن، والروح القدس، الإله الواحد في الجوهر المثلث في الأقانيم.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ٣٤

{٩}

قديسون أخرون

{١٠}

قداسة البابا شنودة

{١} علاقة الإنسان بنفسه {٢} علاقة الإنسان مع نفسه

الإنسان ونفسه

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

📖 **١ـ اليوم نتكلم عن علاقة الإنسان مع نفسه:**

📖 أسوأ ما يمكن أن يتعرض له إنسان، أن يكون عدو نفسه. أن يُضيع نفسه، وليس أنَّ الشياطين هي التي تَضيعه، أو أنَّ الآخرين يُضيعونه، بل هو يُضيع نفسه.

📖 الطريقة التي ينظر بها إلى نفسه، أو يتعامل بها مع نفسه تُضيعه، كما قال السيد المسيح: "مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضَيِّعُهَا" {مت ١٠: ٣٩}.

📖 الذي يجد لذاته. الذي يجد رغباته. الذي يجد مشيئته الخاصة. الذي يجد راحته في الدنيا. شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة، يُضيع نفسه.

📖 **٢.** لذلك أتخيل أنه من الصلوات الهامة، التي ينبغي أن يُصليها الناس، إنَّ الإنسان يقُول: "نجني يارب من نفسي".

📖 نحن نقول: "نجنا من الناس الأشرار، نجنا من الأعداء الخفيين والظاهرين". جيّد أن يُصلي الإنسان ليُنجيه الله من نفسه، ومن أفكاره، ومن رغباته، ومن شخصيته.

📖 لذلك قال السيد المسيح: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ، وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ" ثم يقُول: "حَتَّى نَفْسَهُ" {لو ١٤: ٢٦}، {لو ١٤: ٢٦}. أي يقف ضد هذه النفس التي تتعبه.

📖 الإنسان لا يستطيع أن يضره أحد من الخارج، مثلما يضر نفسه وهذه عبارة قالها القديس يُوحنا ذهبي الفم، قال: "لا يستطيع أحد أن

يضر إنساناً، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه"

📖 **٣.** ربما تقوم عليك حروب كثيرة من الخارج، لكن إذا كانت نفسك معك وليست ضدك، تنتصر على كُلّ الحُروب الخارجية. لكن إذا خانتك نفسك تضيع تماماً، إلا إذا انتشلتك النعمة، لأنَّ نفسك هي التي ضدك

📖 **٤. كُلّ واحد يُحاول أن ينتبه لنفسه، إن كانت تسير معه أم ضده:**

📖 ليتك تبحث إن كانت أفكارك معك أم ضدك.

📖 رغباتك معك أم ضدك. وقتك معك أم ضدك.

📖 نفسك معك أم ضدك. لعلَّ نفسك تُريد أن تكبر فَتُضَيّعك، أو نفسك تُريد أن تظهر وتُمدَح فَتُضيعك، أو نفسك تُريد أن تتبرر أمام الآخرين فتضيعك. كثير من الناس تضيعهم نفوسهم.

📖 **٥.** مسكين الإنسان الذي سقوطه لا يحتاج إلى حروب من الخارج، لأنَّ نفسه ساقطة من الداخل بدون أي حرب خارجية. الشيطان لا يحتاج أن يبذل معه مجهوداً، لأنه هو يُخرب نفسه من الداخل. إنسان عدو نفسه. كثير من الناس من هذا النوع، إنسان عدو نفسه

📖 **٦. ولهذا نحن نحتاج بين الحين والآخر:**

📖 أن نجلس إلى أنفُسنا، وأن نُحاسب أنفُسنا، وأن ندين أنفُسنا. وإذا أدنت نفسك أنقذت نفسك. ما أكثر الذين يُبرِّرون ذواتهم، ويرضى عن نفسه، وهو مُحتاج أنه يُبكت ذاته.

📖 ولذلك قال القديس الأنبا أنطونيوس في أن يذكر الإنسان خطاياه قال: "إن دِنَّا أَنفُسنا رضى الدَّيانِ عنا". وقال أيضاً: "إن ذكرنا خطايانا ينساها لنا الله، وإن نسينا خطايانا يذكرها لنا الله".

📖 وما أجمل قول القديس مكاريوس الكبير: "أُحكُم يا أخي على نفسك

قبل أن يحكموا عليك". أو ذلك المتوحد الذي سأله البابا ثاؤفيلس الثالث والعشرون، عن أعظم الفضائل التي أتقنوها في جبل نتريا؟ قال: "صدقني يا أبي: لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه في كُلّ شيء".

📖 **٧.** نحن نحتاج إلى أن نلوم أنفُسنا، وندين أنفُسنا، ونحكُم على أنفُسنا. ونقف أمام الله كخطاة، وأمام الناس كخطاة، وأمام أنفسنا كخطاة. لذلك نقول لابد أن نجلس مع أنفُسنا وندينها. لأنَّه يوجد إنسان يجلس مع نفسه لكي يجلس مع المجد الباطل، ولكي يجلس مع الافتخار، ولكي يرضى عن نفسه، أو ترضى نفسه عنه. هذا يُضيع ذاته. اجلس مع نفسك وقُل: "أنا مُخطئ"، واجلس مع نفسك لكي تجلس مع الله.

📖 **٨.** أحياناً لا نستطيع أن نجلس مع أنفُسنا، لأننا مشغولون بالآخرين. كُلّ وقتنا عن الآخرين، وكُلّ أحكامنا عن الآخرين. وكُلّ إدانتنا هي للآخرين. وكُلّ غضبنا هو على الآخرين.

📖 أحد القديسين قال كلمة جميلة، قال: "إنَّ الله وضع القُوَّة الغضبية في الإنسان لكي يغضب على نفسه، وليس لكي يغضب على الآخرين".

📖 **٩.** الأمر الطبيعي أن يكون غضب الإنسان على نفسه، وليس على الآخرين، لأنَّ غضبه على الآخرين خروج عن طبيعة الغضب المُقدَّس. أو يغضب على الخطية ذاتها، سواء كانت في نفسه، أو في الآخرين. الإنسان مُحتاج أن يُحاسب ذاته، كما وَرَدْ في البستان: "أنه لابد أن نجلس كُلَّ يوم مع أنفُسنا، ونرى ماذا فعلنا مما يرضي الله، وماذا فعلنا مما لا يُرضي الله".

محبَّة النّفس الحقيقيَّة

📖 **١٠. الناس يُحبُّون أنفُسهم محبَّة خاطئة:**

📖 إن أردت أن تُحب نفسك محبَّة روحية حقيقية، فكّر في أبدية نفسك.

📖 فكر في إعداد نفسك لهذه الأبدية. فكّر في ربط نفسك بالله، وتقريب نفسك من الله. لكن الذي يُفكر في نفسه لكي يُرضي ذاته، هذا أمر متعب. لا تُحاول أن تُرضي نفسك لذلك في شيء من الفضائل اسمه "قهر النَّفْس". إنك تقهر نفسك لكي تنتصر على نفسك.

📖 وسليمان الحكيم يقُول: "مَالِكُ رُوحه خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً" {أم ١٦: ٣٢}. لكن تحاول ترضي نفسك؟ هذا خطأ

📖 **١١. انتصر على نفسك:**

📖 حاول أن تبحث عن ضعفاتك لكي تصلحها، وليس عن النقط الجميلة في حياتك لكي تفتخر بها. فتش عن ضعفاتك لكي تصلحها.

📖 السفينة التي تحيط بها الأمواج من الخارج، لا يمكن أن تؤذيها إلا إذا وُجِدَ ثُقب في السفينة تدخل منه المياه، فالمياه التي في الخارج لا تُؤذيك، لكن إذا دخلت المياه إلى داخل نفسك تُتعبك.

📖 **١٢. هل توجد تقوب داخل نفسك تدخل منها الخطية؟**

📖 هل توجد أماكن غير مُحصنة في نفسك ليقتحمها العدو؟

📖 رَمّم ثقوبك لكيلا تقوى عليك الأمواج، ورمم في أسوارك لكيلا يهجم عليك العدو هجمة تُتعبك، ولكي تستطيع أن تقُول لنفسك: "سَبِّحِي الرَّبَّ يَا أُورُشَلِيم، سَبِّحِي إِلهَكِ يَا صَهْيَوْنَ. لأَنَّهُ قَدْ قَوَّى مَغَالِيقَ أَبْوَابِكِ. وبَارَكَ بَنِيكَ فِيكِ. الَّذِي يَجْعَلُ تُخُومَكِ فِي سَلاَمٍ" {مز ١٤٧: ١٢ - ١٤}. قو مغاليق أبوابك.

📖 **١٣. هناك إنسان نفسه مفتوحة على كُلّ عابر:**

📖 أبوابه غير مُغلقة: أي فكر يمكنه أن يدخل داخله، وأي شهوة تدخل

داخله. وآذانه مفتوحة، أي كلام يستطيع أن يدخل داخله، وقد يسكُن داخله، وقد يُؤثر عليه من الداخل.

📖 مثل أحد الأمثال الشرقية التي تقول: "أنت لا تستطيع أن تمنع الطير أن يحوم حول رأسك، لكن تستطيع أن تمنعه أن يُعشش في شعرك". ابحث عن نفسك. الله سوف لا يسألك في اليوم الأخير عن الآخرين كيف يعيشون، لكن يسألك عن نفسك، كيف سَلَكَتْ نفسك حسناً؟ وكيف كانت نفسك بَرَكَة للآخرين؟

📖 قد لا يسألك عن أخطاء الآخرين، لكن يسألك عن مجهودك الشخصي لإنقاذ الآخرين. انظر ما هو حال نفسك، هل هي ضعيفة ساقطة؟ أم مجرد أنها تسير بصعوبة على قدميها؟ أم أنها قادرة على إعانة الآخرين؟

📖 ١٤. فكَّر أيضاً هل نفسك بها أمراض:

📖 وأمراض معدية قد تُصيب الآخرين وتتلفهم؟

📖 الأمراض نوعان: منها أمراض تفتك بالإنسان في الدَّاخل، لكن لا يُعدي غيره. وأمراض لا تكتفي بأن تمرض الإنسان، لكن تنتقل منه للآخرين أيضاً. فهل أنت عندك هذه الأمراض المعدية؟

📖 هل أفكارك الخاطئة لا تكتفي بها، إنما تصُبَّها في آذان الآخرين؟

📖 هل ضعفاتك لا تكتفي بها، إنما تلقي حملها على الآخرين أيضاً؟

📖 هل أنت لا تكتفي بأن تسقط، وإنما تُعثر غيرك معك؟

📖 هل نفسك نفس خطرة؟ هناك إنسان مُحايد أخطاؤه لنفسه، وهناك إنسان غير محايد مثل أخطاء اللسان مثلاً.

📖 ١٥. حاول أن تُربي نفسك، تُهذِّبها ـ تُؤدِّبها":

📖 سعيد الإنسان الذي يُؤدب. لقد تأثر الأنبا إسحق أب جبل القلمون حينما سمع الراهب ميصائيل الشَّاب الصغير يُبكت ذاته، بينما لم يكن له خطايا يُبكت عليها نفسه هذا التبكيت كله، لكنه كان شديداً جداً في

تبكيته لنفسه.

📖 **١٦. يا لَيْتَ أحداً يستطيع أن يجمع تبكيت القديسين لأنفُسهم:**

📖 صَدِّقُوني موضوع طويل جداً تبكيت القديسين لأنفُسهم.

📖 الذي يقرأ قصة الأنبا موسى السَّائح، وتبكيته لنفسه العجيب، يجد كلاماً شديداً وهو يقول: "الويل لكِ يا نفسي عندما فعلت كذا وكذا. الويل لك يا نفسي عندما رأيتِ. عندما قلت. عندما فعلت".

📖 **١٧.** الذي يُلذِّذ نفسه يُضيع نفسه، ويأتي الله في اليوم الأخير يقُول له: "قد استوفيت خيراتك على الأرض". لكن الذي دائماً يُبكت نفسه، لا يُعطي نفسه كُلّ ما تطلب، يحرمها في الأطعمة، في الأشربة، في الراحة. يُربيها على السهر، والصوم، والعفّة، ونقاوة الفكر، ونقاوة القلب، ونقاوة اللسان، هذا هو مَنْ يُحب نفسه فعلاً.

تدريب النَّفْس

📖 **١٨. الذي يُدرب نفسه:**

📖 مُعلِّمنا بولس الرسول يقُول: "أُدَرِّب نفسي" {أع ٢٤: ١٦}.

📖 "تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ، وأَنْ أجُوعَ، وأَنْ أَسْتَفْضِلَ، وأَنْ أَنْقُصَ" {في٤: ١٢}. يقُول: "صَارَتْ لَهُمْ الحَوَاسُ مُدَرَّبَةً" {عب ٥: ١٤}.

📖 يُدرِّب نفسه: إنسان يستلم نفسه وزنة أخذها من الله، ويُحاول أن يُغربل نفسه ليُخرج منها الزوان والطين. يُوقف نفسه أمام الله كما هي، ويُبكتها أمام الله، ويُبكتها أمام أب الاعتراف، ولا يُحاول أن يُبرر نفسه في شيء.

📖 **١٩.** كلمة جميلة جداً قرأتها عن أحد الآباء القديسين، تقُول عن الرَّاهب تعبيراً عجيباً، نأخذ روحه وليس نصه. يقُول: "يظلم نفسه في كُلّ" لا تظلم نفسك، لكن على الأقل لا تُدلّل نفسك. إنما كُن حازماً

مع نفسك. "أحكُم يا أخي على نفسك قبل أن يحكموا عليك".

📖 **٢٠. ولهذا يوجد إنسان يُعطي عقوبات لنفسه:**

📖 يفرض عليها عقوبات، ويفرح إن أتته عقوبة من الآخرين، أو أتته تجربة من الله، يقول: "هذه خطاياي" وبهذا يُوصل نفسه إلى الانسحاق، وإلى الاتضاع، وبتوبيخه لنفسه يُوصلها للتوبة ويُصلح ذاته.

📖 لكن إنسان خطاياه تبقى فيه كما هي؟ هذا يُضيع نفسه، أو تزداد خطاياه؟ إذا يُضيّع ذاته. أو إنسان يدخل في خطايا جديدة لم يكُن يعرفها من قبل؟ هذا يُضيع روحه.

📖 **٢١. ابحث عن نفسك:**

📖 ماذا تفعل بها؟ وقس نفسك بمقياس المثالية التي قدَّمتها سير القديسين. لا نقُل: "كُونوا كاملين، أو كونوا قديسين". كما يقُول الكتاب. لكن أقول المثالية العملية التي قدمها لنا القديسون في حياتهم.

📖 قس نفسك لترى أين أنت، وإن وجدت نفسك في الموازين إلى فوق، قل متى أصلح من ذاتي؟ متى أبدأ؟ متى أسلك كما يليق بالدَّعوة التي دُعيت إليها؟ أسلُك في السيرة الملائكية؟ ووبخ نفسك، و"مَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا" {مت ١٠: ٣٩}.

📖 الذي يقسو على نفسه ههنا إنما يحفظها لحياة أبدية. مَنْ كان حازماً مع نفسه ههنا إنما يُنقذها من الوقوف في خجل في يوم الدينونة العظيم

📖 **٢٢.** يا ليتنا نكون أصدقاء حقيقيين لأنفُسنا، بالمعنى الروحي، وليس بمعنى أنَّ إنسان يُمتع نفسه مُتعة باطلة في هذا الزمان الحاضر، يفقد بعدها أبديته، ويجد أنَّ أيامه ضاعت.

📖 أحد الناس قال تعبيراً جميلاً جداً قال: "إنَّ الذين في الجحيم يشتهون

دقيقة واحدة من حياتنا التي على الأرض". في هذه الدَّقيقة يستطيعون أن يُغيّروا حياتهم، ويُقدِّموا فيها توبة، ويصنعوا فيها أُموراً كثيرة.

ونحن نشكر الله أَنَّ عندنا دقائق كثيرة، ربما ساعات، وأيام. لكن المهم هل نحن نستغلها من أجل أنفُسنا أم لا؟ من أجل خلاص أنفُسنا، من أجل نُمو أنفسنا، من أجل نقاوة أنفُسنا، وليس من أجل تبرير أنفُسنا، أو مُتعة أنفُسنا. الله يُعطينا أن نجلس مع أنفسنا، لنجعل نِفُسنا تجلس في حضرة الله، الذي له المجد إلى الأبد آمين.

كتاب عظات الرهبانية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٤٦٣ ـ ٤٦٨

{٢}

علاقة الإنسان مع نفسه

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

نكمل حديثنا عن علاقة الإنسان بنفسه:

سؤال يمكن أن نسأله: هل نحن نُحب أنفُسنا؟

أو هل يجوز أن نُحب أنفُسنا؟

١. لا شك أنَّ الإنسان لابد أن يُحب نفسه. لا أحد يستطيع أن يُناقض ذلك، والسيد المسيح لما تكلم عن محبة القريب قال: "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" {مت ٢٢: ٣٩}. لأنه لا يوجد أحد يُبغض نفسه، أي أقصى ما يُطلب، أن تُحب قريبك كنفسك.

إذاً جيّد أن يُحب الإنسان نفسه. لكن المهم هو الآتي: هل نحن نُحب أنفُسنا محبَّة حقيقية؟ هل نحن نُحب أنفُسنا محبَّة صادقة؟

قد تكُون محبَّة عالمية غير رُوحية. قد تكون محبَّة غير حقيقية، أو غير صادقة.



📖 ٢. الحقيقة أنَّ الذي يُحب نفسه، يتلخص حُبه لها بالصدق، والحق. في أن يعمل على أبدية هذه النَّفْس، وعلى سعادتها في الأبدية.

📖 المُشكلة الأولى للناس أنهم يُحبُّون أنفُسهم محبَّة خاطئة {ترتبط}، بالنسبة للعالم الحاضر فقط. هذا أمر خاطئ لا يُفيد.

📖 **مثلاً الغني الغبي كان يُحب نفسه:**

📖 أحب نفسه محبَّة أرضيَّة: محبَّة خاصة بالمال، وبهذا العالم الحاضر. لكن المطلوب أن تكون محبَّة رُوحية، وللأبدية.

📖 **الغني ولعازر:** الغني أحب نفسه، ومتع نفسه على الأرض.

📖 أيضاً ذلك شيء أرضي، وشيء خاص بالعالم، وليس بالأبدية.

📖 إذاً المحبَّة لم تصل إلى نتيجة، لأنها محبَّة أرضيَّة. نُريد أن نُحب أنفُسنا محبَّة حقيقية. محبَّة تُعدَّها لأبدية سليمة، وليس لهذا العالم.

📖 في هذا العالم الحاضر، لا مانع أنَّ النفس تتعب، وتأخذ أجرة تعبها في الأبدية. هنا تُحرم النَّفْس، وتأْخُذُ عِوَض {التعب} في الأبدية.

📖 **٤. مثل إنسان يبحث عن الكرامة:**

📖 لا أستطيع أن أقول له أترك كرامتك دفعة واحدة، وأن يدوسها. لا. ليبحث عن الكرامة. لا مانع لكن يبحث عن الكرامة الحقيقية.

📖 الكرامة الحقيقية أن يكون الإنسان على صورة الله ومثاله، هذه أعظم كرامة. لكن ليس مديح الناس، أو احترام الناس هو الكرامة الحقيقية. يكون بذلك قد فَهَمْ الكرامة بطريقة خطأ.

الكرامة الحقيقية

📖 ٥. الكرامة الحقيقيَّة أن تكون بلا لوم أمام الله، وبقدر الإمكان أمام الناس، إنك لا تشوه صورتك الإلهية. الكرامة الحقيقية إنك تملك مع المسيح في ملكوته، وتجلس معه في عرشه، وتسمع تلك العبارة الجميلة: "نعماً أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ" {مت ٢٥: ٢٣}.

📖 إذا لَيْتَ كُلّ واحد منا يُفكر:

📖 هل هو بالفعل يُحب نفسه، أم لا؟

📖 هل يُحب نفسه محبَّة حقيقية، أم لا؟

📖 ومن جهة الكرامة قال أحد الآباء: "مَنْ سعى وراء الكرامة هربت منه، ومَنْ هرب منها بمعرفة سعت وراءه، وأرشدت الناس إليه".

📖 إذاً الذي يجري وراء الكرامة هنا، لا يعرف الطريق السليم الذي يُكرم به نفسه. أي الذين يكشفون أعمالهم الفاضلة، ويأخُذون مديحاً من الناس، هل هؤلاء يُحبُّون أنفُسهم بالفعل بهذا المديح؟ هؤلاء استوفوا خيراتهم على الأرض، وأصبحوا لا خير لهم في الأبدية.

📖 إذاً هؤلاء يُضِرُّون أَنفُسهم في مقابل المديح في السنوات القليلة في العُمر، يضيع الأجر السماوي الذي إلى الأبد. هؤلاء يُضرون أنفُسهم

📖 **٦. لابد عندما تنشغل بنفسك تنشغل معها بأبديتك:**

📖 العالم الحاضر ليس له قيمة. ما أكثر الذين يبحثون عن العظمة في العالم الحاضر، ولا يبحثون عن العظمة في الأبدية.

📖 مثل اليهود الذين أرادوا مجداً على الأرض، وأرادوا أن يُنصبوا المسيح ملكاً على الأرض. والمسيح رفض أمثال هذه العظمة، وقال "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ" {يو ١٨: ٣٦}.

📖 **الناس لا يفهمون ما هي العظمة:**

📖 المسيح وجد أنَّ العظمة الحقيقية في أن يكون ذبيحة حُب.

📖 العظمة الحقيقية في أن يهزم الشيطان، ويُخلص العالم.

📖 وجد أنَّ أعظم شيء بالنسبة له، أن يُكمل رسالته كفادي ومُخلِّص، لكن ليس العظمة أن يأخذ احتراماً من الناس.

📖 ٧. نحن نُحب أنفُسنا خطأ، ونبحث عن العظمة الخطأ، وعن

الكرامة الخطأ، وعلى المُتعة الخطأ. صَدَّقُوني نحن لا نُحب أنفُسنا.

📖 الإنسان الذي يستبدل الملكوت الأبدي، بأن يأخُذ بدلاً عنه ملكوتاً أرضياً. أو أنه يستبدل مجد السماويات، بأنه يأخُذ مجد الأرضيات، هذا إنسان يُضيع نفسه.

📖 مثل حواء عندما اشتهت مجداً أرضياً، فقدت الصورة {الإلهية} الأرضية، وفقدت الأمجاد السماوية. إلى أن جَاءَ المسيح وخلّص العالم. لابد أن نفهم الأمور على حقيقتها.

📖 آباؤنا القديسون الذين تركوا العالم، وترهبوا في البراري، والجبال، وشُقوق الأرض. وضعوا أمامهم تماماً الأبدية وليس الحياة الأرضية.

📖 أحبُّوا أنفسهم في أبدية هذه النفوس، وليس الحياة الأرضية لهذه النفوس. دائماً هذه الأبدية كانت أمامهم. إن كُنت تُحب نفسك بحق ضع أمامك الأبدية. {المجد} الأرضي كُلّه ضائع، كله زائل.

📖 ٩. لذلك قال الأنبا أنطونيوس: "أخرج منها بإرادتي، قبل أن يُخرجُوني كارهاً". فكَّروا في أبديتكُم.

📖 القديس أرسانيوس قال عن ساعة الموت: "إنَّ خوف هذه الساعة مُلازِم لي منذ أن دخلت إلى الرهبنة". إنسان مسكين وجاهل الذي ينسى أبديته، ويُفكر في مظاهر جوفاء في أيام قليلة على الأرض، أو مُتعة زائلة في أيام قليلة على الأرض.

الترتيب الحقيقي

📖 **١٠. مثلاً خُذوا شيئاً يُحارب كثيرين:**

📖 مسألة الأولوية: يُريد أن يجعل نفسه أولاً. التّرتيب الحقيقي هو الآتي "الله أولاً، ثم الآخرين بعد ذلك، ثم نفسك أخيراً".

📖 ولما تكون نفسك أخيراً فهذا هو المتكأ الأخير الذي نصحنا الرب به، نضع أنفُسنا في المتكأ الأخير، في كُلِّ شيء حق الله رقم "١"

وحقوق الناس رقم "٢" وسنجدها داخل حقوق الله.

وقد نتنازل عن حقوق أنفُسنا ولا نطلُبها، لأنَّ الكتاب يقُول: "الْمَحَبَّةُ لا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا" {١كو ١٣: ٥}. لننتبه لعبارة "مَا لِنَفْسِهَا" أي: أُمور ملكها وحقها فعلاً، لكنها لا تطلبها، وليس واحد يطلب ما ليس له، بل حتى الذي له ما لنفسه لا يطلُبه. "الْمَحَبَّةُ لا تَطْلُبُ مَا لنَفْسِهَا".

---

١١. إن كُنت تُحِب نفسك فعلاً، ضع نفسك آخر الكُلِّ:

إن كُنت تُحِب الأولوية لنفسك، ضع نفسك آخر الكُلِّ، لأنَّ المسيح يقُول: "إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أولاً، فَيَكُونُ آخِرَ الكُلِ {مر٩: ٣٥}.

"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أولاً، فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْداً" {مت٢٠: ٢٧}.

هذه هي معاملتك لنفسك. إذاً لما تضع نفسك أولاً، بأسلوب يكون فهماً خاطئاً للأولوية، ووسيلة خاطئة لا توصلك إلى الأولوية، واهتماماً أرضياً لا علاقة له بالأبدية، أو لا يُوصل إلى الأبدية. علاقته بالأبدية علاقة عكسيَّة.

---

١٢. ما هي علاقتك بنفسك؟

نعم نحن علاقتنا بأنفُسنا ينطبق علينا المَثَل: "عدو عاقل، خير من صديق جاهل". نتصرف مع أنفسنا بطريقة صديق جاهل. تُصادق نفسك صداقة جاهلة، تُضيع بها نفسك، وتمشي في طُرُق لا تُوصل.

---

١٣. ما رأيكم في قول ذلك القديس العظيم جداً بولس الرسول، الذي يقُول: "فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" {غل ٢: ٢٠}. المسيحية كُلّها تتركّز في هذه العبارة. ما معنى ما معنى: "لا أنَا"؟ أي: "ليس أنا" بل: "المسيح يحيا في" ليس لي وجود.

أنا نفسي ماتت عندي، منذ زمان صلبتها، منذ زمن مَعَ الْمَسِيحِ صَلِبْتُ، "فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ".

هل في علاقتك مع نفسك تستطيع أن تقُول: "مع المسيح صلبت

لأحيا لا أنا؟" هل أنت تصلب نفسك فعلاً لكي يحيا المسيح فيك، فتحيا حياة حقيقية؟ أم محبَّتك لنفسك تجعلك تعطيها حياة زائفة ليست سوى موت. أين عبارة "لا أنَا"؟

الذات وإخلاء الذات

📖 **١٤.** عبارة "لا أنَا" تُدخلنا في عبارتين اثنتين لترى موضعك منهما: عبارة: "إنكار الذات" وعبارة: "إخلاء الذَّات".

📖 إنكار الذات: الله طَلَبُه من كل واحد فينا ــ وإخلاء الذات: المثال الذي وضعه الله أمامنا. ما هو الذي تفعله فيهما؟

📖 **١٥.** قد يتكلّم أي إنسان عن إنكار الذات، لكن هل حقاً إنكار الذات شيء موجود في حياتك فعلاً؟ أم ذاتك لها وجود؟ وجود يُضيعها.

📖 هل دخلت في الموت الذي يُؤدي إلى الحياة، كما يقول الرسول: "الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا" {٢كو٤: ١٢}. أو يقُول: " من أجلكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ" {رو ٨: ٣٦}؟

📖 **١٦.** يا ليتكُم تأخُذون هذه الآية مجالاً للتَّأمل: "نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ" هل هذه علاقتك بنفسك؟ نعم. لأنَّ الموت هو الذي يُؤدي إلى الحياة.

📖 نحن نُصلي ونقول: "أُمِتْ حَوَاسِنَا الجِسْمَانِيَّة أَيُّها المَسِيحُ إِلهُنَا". ماذا تفعل ماذا تفعل مع نفسك؟

📖 **١٧.** يا ليتنا نعيد التفكير في علاقتنا بأنفسنا:

📖 هذا يُذكرني بقصة في حياة موسى النبي:

📖 كثيراً ما نُدافع عن أنفُسنا، ويكون دفاعنا عن أنفُسنا دفاعاً خاطئاً، ليست فيه محبَّة النَّفْس محبَّة حقيقية. موسى النبي يسير في الطريق ومعه تلميذه يشُوع بن نُون، ورأى تلميذه يشوع أناساً يتنبأون فانتهرهم. كيف يجرؤ أحد أن يتنبأ في وجود مُوسى؟ هل يوجد نبي

آخر غيره؟ انتهرهم.

📖 فنظر إليه مُوسى النبي ووبخه، وقال له: "يَا لَيْتَ كُلَّ شَعْبِ الرَّبِّ كَانُوا أَنْبِيَاءَ" {عد ١١: ٢٩}. قال له: "هَلْ تَغَارُ أَنْتَ لِي" هل تغير عليَّ؟" تُريدني أنا وحدي؟ محبَّة خاطئة.

📖 هل تريدني أنا وحدي النبي؟ إذا أنا بذلك لا أريد الملكوت، بل أُريد ذاتي. أشتاق أنَّ جميع شعب الله يتنبأون وأنا؟ أنا ما أنا. يا لَيْتَ ملكوت الله ينتشر، والجميع يتنبأون. هذا كلام موسى النبي.

📖 **١٨.** أحياناً نحن نُحب أنفُسنا بأسلوب محبة يشُوع لموسى في هذه القصة، "أنا فقط". لا يظهر في الصورة غيري، هذا يُضيع الإنسان هذه ليست المحبة الحقيقية

المحبة الحقيقية

📖 **١٩.** المحبَّة الحقيقية هي: "يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ، وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ" {يو ٣: ٣٠}. "أنا أنقُص". كُلّ شيء من أجل "أَنَّ ذاكَ يزيد" وهذا ما فَعَلَهُ يُوحنا المعمدان. أنكر ذاته تماماً لكي يظهر المسيح.

📖 كثيراً ما يفعل الله أموراً، وعندما نحكي عنها نحكي عن الدور الذي قمنا به نحن، وليس الذي قام به الله. هل نأخذ مجداً لأنفُسنا؟ نُحب أنفُسنا محبَّة تُضَيّع. محبَّة خاطئة. مثل الدُّب الذي يُحب صاحبه فألقى عليه حَجَرٌ لكي يبعد عنه ذُبابة فأماته. هكذا كثيرون يُحبُّون أنفُسهم بأسلوب هذا الدُّب.

📖 ثم نسأل أنفُسنا، هل نحن نُحبَّها؟ هل أنتَ تحب نفسك عندما تنام وتستريح ولا تصلي؟ هل تحب نفسك عندما تتلذذ بالكلام مع الناس، ولا تستغل الوقت من أجل بنائك الرُّوحي؟ هل تحب نفسك عندما تُعطيها أي متعة تشتاقها؟ يا ليتنا نحب أنفُسنا محبَّة حقيقية.

📖 **٢٠.** أتذكَّر مرة كنت أُكلِّم الناس عن الفرق بين محبّة الأب،

ومحبة الأم، فقُلت: "محبّة الأم أعمق، ومحبة الأب أصدق".
📖 محبة الأم عميقة جداً، لا يستطيع أحد أن يُعبِّر عنها، ومحبة الأب أصدق. ما معنى أصدق؟ أي ولد مُصاب بجُرَاج. الأُم تخاف أن تقترب إليه حتى لا يبكي ابنها، بينما الأب يمسك ابنه ويُعالج الأمر مهما بكى، حتى وإن صرخت الأم ليبتعد عن الابن، لكنه يستمر في العلاج حتى يتم العلاج. "محبَّة أصدق" رغم أنَّ الابن يبكي بين يديه، لكنها محبَّة صادقة. هذه هي المحبَّة الصادقة.

📖 ٢١. أُريدك أن تُحب نفسك بهذا الأسلوب:

📖 أخرج المرض منها، وإن صرخت قُلْ لها: "احتملي ما أفعله فيك من أجل الرب". وتضغط على المرض، وتُنظف نفسك حتّى وإن صرخت نفسك بين يديك.
📖 هذه هي المحبَّة الصادقة "محبة الأب". المحبَّة التي لا تدلل فيها نفسك، ولا تبرر فيها نفسك، ولا تَجادِل فيها نفسك. محبَّة بها تُدخل نفسك إلى الجلجثة، وتصعد نفسك على الصليب.
📖 المسيح قال: "مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ" {يو ١٧: ٥}:
📖 متى قال ذلك؟ وهو ذاهب إلى الجُلجثة قال: "الآنَ تَمَجَّدَ ابنُ الإِنسَانِ" {يو ١٣: ٣١}. مجده في صليبه. هل أنت مجدك في صليبك؟

📖 **٢٢**. إن كنت تحب نفسك، ابحث عن نقاوة نفسك، وفتش ذاتك جيداً بأي مقياس. احذر أن تفتش نفسك بمقياس البر الذاتي، أو المجد العالمي، أو مقياس الكرامة العالمية، فتش نفسك بمقياس الكمال، والقداسة المطلوبة منك: "كونوا قديسين" {١بط ١: ١٦}.
📖 "كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ" {مت ٥: ٤٨}.
📖 فتش نفسك بمقياس المثاليات التي تَرَكَهَا لنا القديسون الكبار، وجاهد مع نفسك بكُلّ قُوَّة، وعُنف. فتش نفسك في ضوء الوصية وجاهد. يقول الكتاب في الرسالة إلى العبرانيين: "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ

حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" {عب ١٢: ٤} حتى الدم، لكي تتنقّى.

📖 **٢٣**. إذا كنت تحب نفسك حقاً، استخدم كل طاقاتك التي أعطاك إيَّاها الله من أجل بناء نفسك روحياً. من أجل أن تنمو في القامة الروحية يوماً بعد يوم، إلى أن تصل إلى الصورة الإلهية التي خلقك الله عليها، هذه هي محبتك الحقيقية لنفسك.

📖 **٢٤**. قد لا تقبل التأديب من الناس، وربما كلمة التّأديب تتعبك، وكلمة التوبيخ تجرحك، وكلمة الصراحة تحزنك. لكنك لا تتعب من تأديبك لنفسك. لكن لا تُريد أن تُؤدب نفسك، ولا تُريد أن يُؤدبك الناس، ولا تُريد أَنَّ الله يُؤدِبك؟ إذاً أنتَ تُضيع نفسك يا حبيبي.

📖 ليتنا نحب أنفُسنا المحبَّة الحقيقية، التي تؤدبها بها لكي تتنقَّى. وتلتصق بالله الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

كتاب عظات الرهبانية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٤٧١ ـ ٤٧٧

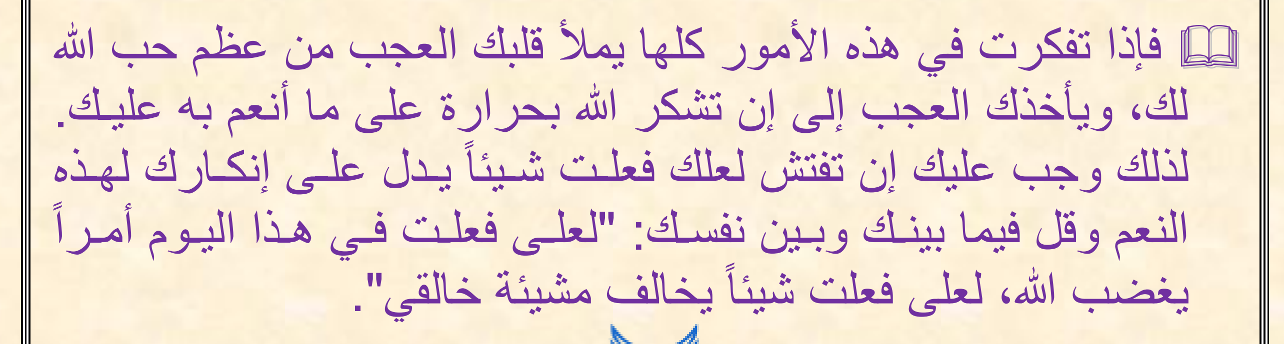
{١١}

كتاب بستان الرهبان

📖 **قال القديس يوحنا القصير:**

📖 مثل التاجر الذي يطلب الأرباح، كذلك حاسب نفسك كل يوم، وأنظر ربحك وخسارتك في كل عشية.

📖 وأجمع عقلك، وتأمل ما الذي عملته في نهارك، وأنظر إلى صنع الله ربك، وأفهم بماذا أنعم عليك في يومك: بإشراق الضوء، بطيب النهار، بتقويم الأزمنة، ببهاء الجبال، بحسن الألوان، بزينة الخليقة، بحركة الشمس وبزينة قامتك، وبهبوب الرياح، وبحسن الأثمار، وبحفظه إياك من الأخطار مع بقية انعماته.



📖 فإذا تفكرت في هذه الأمور كلها يملأ قلبك العجب من عظم حب الله لك، ويأخذك العجب إلى إن تشكر الله بحرارة على ما أنعم به عليك. لذلك وجب عليك إن تفتش لعلك فعلت شيئاً يدل على إنكارك لهذه النعم وقل فيما بينك وبين نفسك: "لعلى فعلت في هذا اليوم أمراً يغضب الله، لعلى فعلت شيئاً يخالف مشيئة خالقي".

📖 فإن شعرت في نفسك إنك قد فعلت شيئاً يخالفه. قم في الحال للصلاة، وأشكر الله أولاً على النعم التي اقتبلتها منه في يومك هذا، ثم تضرع من أجل غفران ما أخطأت به، وهكذا تنام بخوف ورعدة.

📖 من المعلوم لدينا أننا إن أغضبنا من هو أعظم منا، فإننا نبيت ونحن في خوف ورعدة، ولكن مع الأسف فهوذا نحن نغضب الله وننام بلا مخافة.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٥٥

📖 قال أحد الأخوة لقوم من الرهبان:

📖 "هل رأيتم قط من هو اكذب من شقاوتي؟". قالوا: "وما السبب؟".

📖 قال لهم: "إذا أنا وقفت أصلي، فأني أرفع يدي ونظري إلى فوق، وأبكى وأسأل أن يسمع الطلبة ويرحم البكاء، وفي الوقت الذي أخطئ فيه، أقول إنه لا يراني، وبهذا السبب نبت عندي كذب نفسي".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٢



📖 قال شيخ:

📖 "يجب أن نحاسب نفوسنا كل يوم، ونفتقد حياتنا بالتوبة".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨٦

📖 قال الأب نستاريون:

📖 "يجب على الراهب أن يحاسب ذاته كل مساء وكل صباح، ماذا صنعنا مما يشاء الله، وماذا عملنا مما لا يشاء الله، لأنه هكذا عاش

الأب أرسانيوس، وهكذا نفتقد ذواتنا كل أيام حياتنا. لآن الإنسان إذا عمل الكثير ولم يحفظه، فقد أتلفه. أما من يعمل قليلاً ويحفظه، فإنه يبقي معه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨٦

وقالت القديسة سفرنيكي:

"إذا أخطأنا إلى ملوك العالم. السنا بغير إرادتنا نلقي في السجون ونعاقب؟ فسبيلنا من أجل خطايانا أن نحبس أنفسنا، ونعاقبها بالأتعاب، لكي نطرد الذكر الطوعي {للألآم} بالعذاب العتيد".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨٦

وقال أنبا باخوميوس:

"اجلس وحدك مثل وال وحكيم ودن أفكارك، فما كان نافعا وموافقاً أبقه وأحفظه، وأما ما كان ضاراً فاطرده عنك".

والآن يا أبني: أجعل ناموس الله في قلبك، والزم البكاء، وأجعله لك صديقاً. وليكن جسدك قبرا لك، حتى يقيمك الله، ويعطيك تاج الغلبة.

احفظ نفسك من هذا الذي يجلب عليك تزكية ذاتك، وازدراء أخيك، لأنه مبغوض جداً قدام الله، ذلك الإنسان الذي يكرم نفسه، ويرذل أخاه.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣١٨ - ٣١٩



قال أحد القديسين:

"الذي يلوم نفسه في كل شيء، فإنه يجد رحمة أمام الله إلهنا".

قال قديس: "من لا يضر ذاته، فلا يضره إنسان".

قال راهب:

"الطريق المخلصة هي: "أن يرجع الراهب باللائمة على نفسه".

قال شيخ: "تشبه بالعشار، لئلا تدان مع فريسي".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٠

قال شيخ أخر: "أشرف أعمال الرهبنة: أن يحتقر الإنسان نفسه دائماً، ويرد اللوم عليها".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٠



سأل أخ الأنبا بيمن: "كيف أستطيع ألا أقع في الناس".

فقال: "إذا لام الإنسان نفسه، حينئذ يكون عنده أخوه أكرم منه وأفضل. وإذا ظن في نفسه أنه صالح، حينئذ يكون عنده أخوه حقيراً، ومهاناً، ويقع فيه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٠



قال أنبا يوحنا: "تركنا الخدمة الحقيقية التي هي أن نلوم أنفسنا، ولازمنا الخدمة الثقيلة التي هي أن نمجد أنفسنا".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢١



قال أنبا أغريبوس:

"رأس الحكمة هو ذلك الوقت الذي فيه تلوم نفسك وحدك".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢١



مضي البابا ثاوفيلس بطريرك الإسكندرية إلى جبل نتريه، وجاء إلي أب الجبل، وقال له: "ما هو أفضل شيء وجدته في طريقة جهادكم هذه، يا أبتاه".

فقال له الشيخ: "لا يوجد شيء أفضل من أرجع بالملامة على نفسي في كل شيء". فقال البابا: "بالحقيقية، هذه هي الطريقة الفاضلة، التي لا يوجد قط أفضل منها ".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢١



قال القديس موسي الأسود:

"اختبر نفسك كل يوم، وتأمل في أي المحاربات انتصرت، ولا تثق بنفسك بل قل: "الرحمة والعون هما من الله". "لا تظن في نفسك إنك أجدت شيئاً من الصلاح، إلى أخر نسمة من حياتك".

"لا تستكبر وتقول "طوباي" لأنك لا يمكنك أن تطمئن من جهة أعدائك". "لا تثق بنفسك ما دمت في الجسد، حتى تعبر عنك سلاطين الظلمة".

"الذي يعتقد في نفسه أنه بلا عيب، فقد حوي في ذاته سائر العيوب". "إن لم يضع الإنسان نفسه في مركز خاطئ، فلن تُسمع صلاته أمام الرب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٥

قال شيخ: "يجب على الراهب في كل بكرة وعشية أن يحاسب نفسه ويقول: "ماذا عملنا مما يحبه الله؟ وماذا عملنا مما لا يحبه الله؟ لأنه يجب علينا أن نفتقد حياتنا بالتوبة هكذا، وبهذه السيرة عاش أرسانيوس. لآن من عمل كثيراً ولم يحفظه أتلفه. ومن يعمل قليلاً ويحفظه يبقي معه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٤٣٠



قال القديس باسيليوس:

"عاتب نفسك، فهذا أفضل من أن تعاتب غيرك"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٤٤٣



قال شيخ:

"لقد تركنا الطريق المستقيمة، وهي التي رسمها لنا الآباء، وهي أن نلوم ذواتنا، ورجعنا باللائمة على القريب منا. وأصبح كل واحد منا

يحرص ويجتهد في أن يرجع بالسبب على أخيه في كل امر، ويطرح ثقله على قريبه. كما صار كل واحد منا متهاوناً، وفي نفس الوقت نطآلب بحفظ الوصايا، مع اننا لا نحفظ شيئاً منها".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٤٤٣







{٣٤} الرهبنة:
طلب للملكوت والحياة

{١} مار إسحق السرياني	{٢} الأنبا إشعياء الإسقيطي	{٣} الشيخ الروحاني
{٤} مار فليكسينوس	{٥} توما الكمبيسي	{٦} القديس مكاريوس
{٧} قديسون أخرون	{٨} القديس يوحنا السيوطي	{٩} ق: غريغوريوس السينائي
{١٠} القديس باسيليوس	{١١} القديس أوغسطينوس	{١٢} مكسيموس المعترف

{١}
مار إسحق السرياني

📖 إن المخلص يشير بقوله «منازل كثيرة في بيت أبي» ... إلى اختلاف رتب المواهب، لا إلى اختلاف مواضع معروفة، مُعدَّة للسكنى لكل واحد فواحد موضع مخصوص، هكذا جميع الأبرار والصديقين يتدبَّرون في الدهر العتيد في بلدة واحدة دون ان تنقسم إلى مواضع منفصلة، وكل واحد يستنير من شمس واحدة عقلية حسب ما يستحقه قدر تدبيره، ويجتذب لنفسه المسرة والتنعم كمِن هواء واحد ومكان واحد ومنظر واحد وشكل واحد، ومسكن واحد.

📖 وهناك لا ينظر أحدٌ، منزلة من هو أعلى منه أو دونه، لئلا يعرض له من قِبَل ذلك حزن وكآبة، أعني إذا ما قاس نقصه إلى كمال غيره، وحاشا ان يكون مثل هذا حيث لا يوجد حزن ولا تنهد.



٢٦ــ مذاقة الملكوت هي حركة القلب بالفرح، الذي يملك في النفس بقوة من أجل المزمعات، فتنحلّ جميع أعضاء الجسد قدامه، لأنه يُقهر من الصبر على تلك العظمة، وحتى الشرايين والعظام تتحلَّى بذلك السرور الذي يفوق طقس الطبيعة.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ {٣} رؤوس المعرفة ـ صفحة ٦٢

٩٦ــ أكثر الآباء يقولون إن نفوس الصديقين يُسبِّحون الرب في الموضع الذي يكونون فيه. وآخرون يقولون إنهم كمثل مَن هم في نومٍ لذيذ، يستريحون في مظلاتهم، يختلجون بلا انتقال.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الرابع ـ صفحة ١٥٤ ـ ١٥٥

٢ــ عندما تكفُّ الأمهات تماماً عن إنجاب الأولاد، فإن آخر عدو سوف يبطل، الذي هو الموت، وتشرق القيامة على الفور بجمالها المشع، وتُرى علامة صليب الرب، ويظهر المسيح متألقاً في مجد ملائكته العظيم، ويُرفع عن الجميع برقع الضلال، وتملك القيامة كما هو مكتوب، وبإشارةٍ تتغير كل المخلوقات، وتنال التجديد.

٣ــ سيُكشف العدل بغتةً مقترناً بالرحمة، وسيلتحف العصاة والشياطين بالخزي والظلمة والندم، ويخرج ثوب أعمالهم من داخلهم. أما الأبرار فيتسربلون بثوب مجدهم.

عندئذ تتدفق النعمة، ويسطع جَلد السماء مضيئاً، ويقف الملائكة والناس والشياطين برهبةٍ عظيمة. وسوف يُرفع الأبرار على أجنحةٍ من نور لملاقاة ربنا، ويدخل العريس إلى خدر العُرس الروحاني المُعدّ لمدعويه، ومعه يدخل بنو النور المدعوون الذين بإخلاصهم وأعمال أمانتهم، كانوا ينتظرون وليمة العُرس.

حينئذ سيُغلق في الحال باب خدر العُرس، ويبقى الأشرار في النصيب السفلي الذي اقتنوه لأنفسهم بأعمالهم الغاشة.

📖 ٤- سيحلُّ بغتةً فزعٌ رهيب على الذين يبقون في المكان السفلي، عندما يرون الأبرار يُرفعون في نور لملاقاة الرب، ويتفجر من داخلهم فيضُ ظلمةٍ مرعبة، وعذابٌ، وندم محزن يبتلع حياتهم.

📖 وهكذا يُعاقبون بعدل رحمة الله، ويكون وجودهم كله هناك عويلاً وصرير أسنان.

📖 ٥- حينئذ يقدِّم المسيح ابن الله الذي تخضع له كل الأشياء، إكليلَ النصرةِ ممجِّداً ذاك الذي أخضع له الكل، ويصير الله الكلَّ في الكلِّ، كما هو مكتوب.

📖 ٦- وسيتكئ العريس السمائي أمام مدعويه، مكلِّلاً إياهم بمجدٍ مضاعف، ويجعلهم يتكئون وهم مزيَّنون بمجد جهادهم إلى الأبد، ويسكب عليهم موهبة نعمته، ويكلِّلهم بإكليل من نور وبتألق لاهوته.

📖 وهو سيغطيهم بمجد ملكوته الأبدي، ويضيئهم بالنور حيث يبتهجون بفرح الوجود مع المسيح، في سعادة وبهجة لا نهاية لها.

📖 ٧- ذهولٌ مليء بالخشوع سيحل على الطبيعة كلها، عندما يحدث التغيير العظيم في طرفة عين، فتنال طبيعة البشر تجديداً كاملاً غير ناقصٍ، لا يتضاءل قط. فهم سيوقَظون في القيامة العامة كما من نومٍ، حينئذ يضيء الأبرار كالشمس، وكالقمر والنجوم العقلية.

📖 ٨- كما أنه لا توجد هنا معرفة عن العالم الجديد ولغته، هكذا فإن لغة هذا العالم لن توجد هناك فيما بعد، بل سيملك على الكل هدوءٌ، وسكونٌ عميق بمهابةٍ ومجدٍ لا يُنطق به، لأن الذين انتظروا العريس المسيح عبر جميع الأجيال سيسكرون بحبه.

📖 ١١ـ إن فعل إعطاء الله الحياة الأبدية للبشر سيكون مستمراً، لأنه لو توقف فإن أبدية حياتهم ستتوقف، ولهذا فإن عطيته لن تُسترد، وحياتهم لن تنقص، حيث أنهم لن يكونوا مُرهقين بالعمل بل سيكونون روحيين.

📖 ١٣ـ دعونا لا نجري وراء أمور متعددة كثيرة من التي لها معانٍ سرية مخفاة، ودعونا لا نحيد عن الحق، بل فليكن إيماننا كافياً للحق. إن المعرفة الحقيقية فيما يختص بسر الثالوث الأقدس معروفة بـ: عدم الابتداء، والبنوة، والانبثاق.

📖 والثالوث يصير واضحاً للذهن المجرَّد، عندما نصير مقتنعين تماماً بالقول، وبالفعل، بحقارة وضعف طبيعتنا.

📖 فطالما أننا نقبل حقائق الكنيسة المقدسة فيما يخص كل ما ليس له شبه، فنحن عندما نُرفع إلى العلا في مجدٍ سوف نبلغ إلى المعرفة الحقيقية للحق ذاته.

📖 ١٤ـ هكذا أيضاً لا يمكن وصف الأسرار المجيدة التي للعالم الروحي بتركيب الكلام، كما لا يمكن أن تُصوَّر في ذهن جسدي.

📖 لأنه يستحيل لأي استعلان للروح البسيط أن ينكشف للعقل الذي صيَّرته كثرة المناهج المعقدة مُركَّباً.

📖 ١٥ـ ولكن النفس من خلال نور الإيمان وحده يمكنها أن تنال معرفةً بهذه الأسرار مما قبلته من الأسفار الإلهية المقدسة.

📖 لأنه حتى الكتاب المقدس لا يستطيع أن ينقل إلينا معرفةً لم نقبلها بخصوص هذه الأسرار، وهي بدون نور الإيمان تظل غريبةً عن معرفتنا.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ٢٠١ ـ ٢٠٣

🕮 [١٠] عندما لا يتبقَّى أي شيء يُحرِّك التأمُّل في الأمور المادية، ولا يعود العقل بحاجةٍ إلى الحواس، ولا لِمعونتها، إذ تَختفي الحواس تَماماً عند استعلان العالَم الجديد {داخل القلب}، الذي يَحدث في طرفة عين، فمن البيِّن أنه عندما يَختفي نِهائياً تذكُّر كل ما كان يشغل الحواس، من الطبيعة البشرية، فهي تنشغل كلِّيةً بالحقيقة الجديدة، التي ستنتقل إليها حينئذٍ.

ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الثالثة - صفحة ٦٧٧

🕮 [٦٩] يليق السجود لذاك الذي بِحكمته غير المُدرَكة، وضعنا أولاً في سيرة المعرفة في عالَمٍ مادِّي، ولكنه، بعد ذلك، بالموت، وضع حداً للخطايا التي أورثَتْ المعاناة، وأعدَّ لنا أخيراً عالَم المَجد، حيث لا تعود الحياة تَخضع لِمثل تلك الآلام.

ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الثالثة - صفحة ٦٩٠

🕮 [٧٠] الله بنعمته قد أتى بالعالَم إلى الوجود، وهو بِمحبته يُدبِّر شؤونه. وبينما نحن كل يومٍ نخطئ إلى صلاحه بِحماقتنا وتَحوُّلنا إلى الشرّ، لا تتوقَّف مَحبته عن تدبير الخيرات العظيمة من أجلنا يوماً بعد يومٍ، ويُكثِر معوناته لنا، كما لو كان متيقِّناً من أنه سيرفعنا يوماً ما إلى سيرة الحياة المزمعة.

🕮 ومع أننا نعرف غِنَى مَحبة الخالق الفائقة، إذ أنه عند نهاية مسيرة هذا العالَم الحاضر، التي ازدادت وتفاقمت فيها الشرور وعواقبها...

– آه، إنني لا أعرف كيف أُعبِّر عن ذلك!

🕮 كيف بعد كل هذ يرُدّ خلقتنا من التُراب إلى السمو الفائق، ويرفعنا جَميعاً إلى مَجدٍ مبهِجٍ مَملوءٍ مسرّة، ويقودنا إلى أن نصبح آلِهة وأبناء الله!

🕮 كَم هو مناسب أن نذكر هنا قول المُفسِّر المغبوط: "من الواضح إذاً، أنه بعظم صلاحه، ووفرة مَحبته، قد أتى بالخليقة إلى الوجود".

والسبب الذي من أجله وضعنا أولاً في عالَمٍ مادِّي، في هذا الزمن الحاضر، هو، أيضاً، مَخفي عن الخلائق.

📖 وليس هو، بالتأكيد، كما يُفكِّر الكثيرون، من أجل اختبارنا، ومعرفة إذا كُنَّا أخياراً أم أشراراً، كما لو كان فيما بعد سيُعطينا أجوراً مُختلفة. فكيف يُمكن لنا أن نُفكِّر على هذا النمط، ونستخلص من هنا أن هذا هو السبب في خلقة العالَم؟ بينما منذ البداية وقبل أن يُنشئ الخليقة، ليس فقط أن الله كان يعرف تَماماً ما سيخلقه، بل إنه، فضلاً عن ذلك كان يعرف الحال الذي تنتهي إليه خلائقه من البشر، أو الطبائع غير المرئية.

📖 والدافع الدقيق في ذلك مَخفي. وإن كان قد أُعطِيَ لنا أن نعرف القليل ونتكلَّم عنه، إلا أن الله رأى أن تظل الحقيقة الكاملة مَخفية حالياً. وفيما بعد رُبَّما لا تكون هناك أية حاجة بعد لِطرح أسئلة بِهذا الخصوص.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثالثة ـ صفحة ٦٩٠

📖 **[٩٣]** الملكوت وجهنم ليسا مكافأة للصالِحين والأشرار، ولكنهما مكافأة للرغبات الإرادية.

ميامر مار اسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثالثة ـ صفحة ٦٩٦

📖 **وقال مار إسحق:**

📖 "لا تطلب الأمور الحقيرة من العظيم القادر على كل شيء، لئلا تهينه. أسأل المواهب الكريمة من الله، فينعم عليك بها.

📖 لقد سأل سليمان من الله الحكمة، فأعطاه معها الغنى، ودوام السلامة. وسأل إسرائيل الحقيرات فرذل، لأنه ترك تمجيد عجائب الله، وطلب شهوى بطنه، وإذ الطعام بعد في أفواههم، أتي رجز الله عليهم كما هو مكتوب.

📖 أطلب من الله ما يلائم مجده، لتكون كريماً عنده، ولا تسأل الأرضيات من السيمائي، فقد كتب: "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كله يزاد لكم".

📖 من يشتهى الروحيات، حتماً يهمل الجسدانيات.

📖 ليس شيء محبوبا لدى الله، وسريعاً في استجابة طلباته، مثل إنسان يطلب من أجل زلاته وغفرانها".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٧

📖 إن الكتاب أخبرنا ماهية الأمور في الدهر الآتي.

📖 فهل يمكننا أن نتمتع بها على أكمل وجه، ما لم تتحول طبيعتنا ونخرج من هذا العالم؟ لقد أرشدنا وحثنا إلى اشتهاء أمور الدهر الآتي الجميلة، المشوقة، المجيدة، بقوله عنها: "الذي ما رأته عين، ولا سمعت به أذن" (١كو٢: ٩). وقد أنبأنا إن الخيرات الآتية غير مدركة، ولا تشابه ما هو ارضي.

📖 إن النعيم الروحي لا يَكمن في حاجتنا إلى الأشياء المادية خارج النفس، وإلا لكان "ملكوت الله فيكم" (لو١٧: ٢١) و"ليأت ملكوتك" (متى ٦: ١٠) يعنيان شيئاً مادياً، حسياً، نقتنيه في داخلنا، عربوناً للنعيم السماوي.

📖 من الضروري أن يكون المُلكُ شبيهاً بالعربون كما في مرآة، وإن لم ينعكس فيها كما هو بالذات، ومن الضروري أيضاً أن يكون الكل شبيهاً بالبعض {الملك هو الملكوت السماوي، والعربون هو الحياة مع المسيح في هذه الدنيا. الكل هو ملء الحياة الآتية. والبعض هو الجزء الذي نعيشه مع المسيح في هذه الحياة}. فإذا كانت شهادة مفسري الكتاب صحيحة، أي أن حس ملكوت السماوات هو فعل الروح القدس، فإن هذا الحس إذاً بعض من ذلك الكل؟

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثلاثون ـ صفحة ١١٦



{٢}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 الذي يؤمن انه يوجد ملكوت للقديسين يهتم بان يتحفظ حتى في الأمور الصغيرة والأشياء التافهة، حتى يصير إناء مختاراً.

📖 اذكر ملكوت السماوات، لكي تجذبك شهوتُها قليلاً قليلاً، وتفكر في الجحيم لكي تبغض أعمالها.

{٣}

الشيخ الروحاني

📖 بلد النقي النفس هي داخل منه، والشمس التي تشرق فيه هي نور الثالوث المقدس، وهواء نسم سكانه هو الروح القدس المعزى، والسكان معهم الطبائع الأطهار الروحانيون، وحياتهم وبلده وفرحهم وبهجتهم هو المسيح ضياء الأب، هذا {الإنسان النقي النفس} يبتهج كل حين بنظر نفسه، ويتعجب بحسنها الذي هو أحسن من قرص الشمس مائة مرة، هذه هي أورشليم، ملكوت الله المخفي داخلنا ككلمة ربنا. هذه هى بلدة غمام مجد الله التي يدخل إليها أنقياء القلب فقط لينظروا وجه ربهم ويستضئ ضميرهم بشعاع نوره.

{٤}

القديس مار فليكسينوس

📖 **ما هو الملكوت والجحيم:**

📖 إن ملكوت السموات، هو النفس الخالية من الآلام.

📖 لأنها إذ تعتق من آلام الشرور، التـي يولـد منهـا الخوف، والكآبة والهم وعدم الثقة، فـي الحال تمتلئ بضد هذه، رجاء وثقة وفرحا لأنه على أي شئ يحزن، الذي قطع عنه كل الأشياء، وتركها تماما.

📖 إذا كان ملكوت السموات هو، كمال العتق من الآلام، فواضح أن التعبد للآلام هـو الجحـيم والظـلام الخارج والدود، فمن هنا نأخذ عربون الملكوت أو الجحيم، فإنك إذا تناولت جسد الرب ودمـــه، فإنـك تأخـذ عربونا، أما هناك فإنك تغتذى دائما من أقنوم المسيح.

📖 وهكذا يعتبر الفرح الـذي نشأ من عدم الآلام هاهنـا مناسبا لذلك الفرح المزمع أن يجود به اللــه على مستحقيه، وكذلك عذاب الكآبة الذي يولد من خدمة الآلام الرديئـة هاهنـا هو مناسب للجحيم المزمع أن يكون للأشرار

📖 **التلميذ الحقيقي:**

📖 لا ينبغـي للراهب أن يكون، تلميذا بالاسم للمسيح، وبالفعل للعالم، لذلك كن فـي داخلك كما يراك النـاس ظاهرا، إن هم العالم لا يلائـم من يريد أن يصنع جهادا روحانيا.

{٥}

توما الكمبيسي ـ الإقتداء بالمسيح

في نهار الأبدية وفي مضايق هذه الحياة

📖 ١ـ التلميذ: يا لسعادة المقام في المدينة العلوية!

📖 يا لنهار الأبدية الجزيل السني، الذي لا يغشاه ليل، بل يشع عليه

دوماً الحق الأعظم!"

📖 نهار دائم الفرح، دائم الطمأنينة، لا تناله أبدا تقلبات الأحوال!

📖 آه! يا ليت ذلك النهار قد أشرق، وجميع هذه الزمنيات قد بلغت نهايتها! أجل، إنه يضيء للقديسين بسنيٍ ضياء دائم، أما المتغربون على الأرض، فلا يضيء لهم إلا عن بعد، وكما في مرآة.

📖 ٢- إن سكان الوطن السماوي، يعرفون ما في ذلك النهار من السرور، أما أولاد حواء المنفيون، فإنهم يتنهدون لما في حياتهم هذه من المرارة والسأم، أيام هذا الدهر قليلة ورديئة، ومفعمة بالأوجاع والمضايق، فيها يتدنس الإنسان بخطايا كثيرة، ويقتنص بحبائل أهواء جمة.

📖 تضايقه كثرة المخاوف، وتتنازعه كثرة الهموم، وتتجاذبه كثرة الملاهي، يرتبك في الأباطيل الكثيرة، وتكتنفه كثرة الأضاليل، ترهقه المتاعب الكثيرة، وتثقله التجارب، توهنه اللذات، وتعذبه الفاقة.

📖 **3-** آه! متى تنتهى هذه الشرور؟

📖 ومتى أعتق من عبودية الرذائل التاعسة؟

📖 متى أذكرك أنت وحدك، يا رب؟

📖 ومتى أفرح بك تمام الفرح؟

📖 متى أتخلص من كل عائق، فأكون في الحرية الحقة، خالياً من كل ما يثقل الروح والجسد؟

📖 متى أتمتع بالسلام الثابت، بالسلام الراهن غير المتزعزع، بالسلام الداخلي والخارجي، بالسلام الموطد من كل جهة؟

📖 يا يسوع الصالح، متى أقف لأراك؟

📖 متى أشاهد مجد ملكوتك؟ متى تكون لي كلا في الكل.

📖 متى أكون معك في ملكوتك، الذي هيّأته منذ الأزل لأحبائك"؟

📖 لقد تركت بائسا منفياً في أرض العدو، حيث الحروب كل يوم،

والتعس شديد جداً.



4 - عز منفاي، وخفف وجعي، فإني تائق إليك بكل رغبتي.

إنه لوقر على، كل ما يقدمه هذا العالم لتعزيتي.

فأنا أتوق الى التمتع بك في داخلي، ولكنني لا أستطيع إدراك ذلك.

أتمنى التعلق بالسماويات، ولكن الأمور الزمنية، والأهواء غير المماتة، تهوي بي الى أسف.

أريد بالروح أن أسمو فوق جميع الأشياء، لكن الجسد يضطرني الى الخضوع لهاَ مرغما. وهكذا فإني أحارب ذاتي أنا الإنسان الشقيّ، وقد صرت ثقلاً على نفسي، الروح يطلب الارتفاع الىٍ أعلي، والجسد الهويان الى أسفل.

5- ما أشد ما أقاسي في داخلي، عندما أكون في تأمل السماويات، وإذا بجماهير الأفكار الجسدية تجتاحني، قاطعة على صلاتي!

"أللهم، لا تبعد عني ولا تنبذ ٍ بغضب عبدك"، أبرق ببرقك، وشتت تلك الأفكار، أرسل سهامك فتنهزم جميع خيالاتّ العدو.

إجمعِ إليك حواسي، وأنسني جميع الدنيويات، أعطني أن أطرد سريعاً خيالات الرذائل وأحتقرها.

أنصرني أيها الحق الأزلي، لئلا أتأثر بشيء باطل.

تعالي، أيتها العذوبة السماوية، ولينهزم من وجهك كل دنس.

سامحني واصفح عني برحمتك، كلما فكرت، في صلاتي، بشيء آخر سواك. فإني أعترفُ، في الحقيقة، أنني عادةُ كثير التشتت.

إذ كثيرا ما لا أكون حيث أنا واقف، أو جالس بالجسد، بل، بالحريّ، أكون حيث تحملني أفكاري. حيثما تكن أفكاري، فهناك أكون، وأفكاري تكون، في الغالب، حيث يكون ما أحب. وما يخطر على بالي سريعا، إنما هو الأمور التي تلذ لي طبعا، أو تروقني بسبب العادة.



🕮 **6-** ومن ثم، فإنك أنت أيها الحق قد قلت صريحاً: "حيث يكون قلبك، فهناك يكون كنزك أيضاً"

🕮 إن أحببت السماء، لذ لي التفكر بالسماويات.

🕮 وإن أحببت العالم، فرحت لنعيم العالم، وحزنت لبلاياه.

🕮 إن أحببت الجسد، تصورت غالبا، ما هو للجسد.

🕮 وإن أحببت الروح، لذ لي التفكرُ بالروحيات.

🕮 فكل ما احبه، أرتاح الى التحدث واستماع التحدث عنه، وأنقل صورته معي الى منزلي.

🕮 ولكن طوبى للإنسان الذي من أجلك يا ربّ، يسرّح جميع الخلائق من قلبه، ويغصب طبيعته، ويصلب بحرارة الروح شهوات الجسد، ليقرّب لك، بضمير مطمئن، صلاة طاهرة، ويؤهل للوقوف بين أجواق الملائكة، بإقصائه عن نفسه، في الخارج، وفي الداخل، جميع الأمور الأرضية.

كتاب الاقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ السفر الثالث ـ صفحة ٣٢٣ ـ ٣٢٩

في الشوق الى الحياة الأبدية

🕮 ١ـ المسيح: يا بنيّ، إذا شعرت بالشوق الى السعادة الأبدية، يفاض عليك من العلاء، واشتهيت الخروج من مسكن جسدك، لتستطيع أن تشاهد بهائي من غير ظل، تحول فاشرح قلبك، واقبل بكل رغبتك هذا الإلهام المقدس.

🕮 أد أوفر الشكر للصلاح السامي، الذي يعاملك بمثل هذا الانعطاف، فيفتقدك بحنو، ويستحثك بشدة، ويرفعك بقدرته، لئلا تهوي بثقلك الذاتي الى الأرضيات.

🕮 فإنك لست بتفكيرك واجتهادك تحصل على ذلك، بل بفضل النعمة العلوية وحدها، وحسن التفات الله إليك، لكي تتقدم في الفضائل، وفي تواضع أعظم، وتستعد للجهادات المستقبلة، وللاتحاد بي بكل رغبة

قلبك، وتجتهد في خدمتي بإرادة مضطرمة..

📖 ٢ ـ يا بنيّ، في الغالب عندما تتقد النار، لا يتصاعد لهيبها بدون دخان. كذلك بعض الناس يضطرمون شوقاً الى السماويات، وهم مع ذلك غير محررين من تجربة الأهواء الجسدية.

📖 فلذلك لا يبتغون مجد الله خالصا، فيما يسألونه بشديد الإلحاح.
ومثل ذلك هي في الغالب رغبتك، التي زعمت انها ملحة جداً.
فإنه ليس بطاهر، ولا كامل، ما قد أفسدته المصلحة الذاتية

📖 **3-** لا تلتمس ما هو لذيذ، أو نافع لك، بل ما فيه مرضاتي ومجدي، لأنك إن حكمت بالصواب، وجب عليك اتباع تدبيري، مفضلا إياه على رغبتك أنت، وعلى كل رغبة.

📖 "إنيّ عالم برغبتك، وقد سمعت كثرة تنهداتك" تود لو كنت، منذ الآن، حاصلا على حرية المجد التي لأبناء الله، وقد أخذ يلذ لك، منذ الآن، المنزل الأبدي، والوطن السماوي المفعم فرحاً!

📖 بيد أن تلك الساعة لم ِ تأت حتى الآن، بل امامك بعد زمان، هو زمان حرب، زمان تعب وامتحان. إنك تتوق أن تمتلئ من الخير الأعظم، لكنك لا تستطيع الآن إدراك ذلك. أنا هو ذلك الخير، فانتظرني – يقول الرب - حتى يأتي ملكوت الله.

📖 ٤ ـ لا بد لك أن تختبر بعد على الأرض، وتتمرّس بمحن كثيرة.

📖 قد تعطى لك التعزية بين حين وآخر، لكنك لن تمنحها بوفرةٍ تشبع رغائبك، فتشدد إذنّ وتقو في العمل، كما في احتمال ما يعاكس الطبيعة. ينبغي لك أن تلبس الإنسان الجديد وتنقلب رجلا آخر.

📖 عليك أن تعمل غالباً ما لا تريد، وأن تترك ما تريد.

📖 ما يلذ للآخرين يلقى نجاحا، وما يلذ لك أنت لا ينجح.

📖 ما يقوله الآخرون يصغى إليه، وما تقوله أنت يحسب كلا شيء.

📖 يطلب الآخرون فينالون، وتطلب أنت فلا تحصل على شيء.

📖 ٥ ـ يعظم الآخرون في أفواه الناس، أما أنت فليس من يأبى بذكرك. يعهد الى الآخرين في هذا العمل أو ذاك، أما أنت فتحسب غير صالح لشيء. قد يشق ذلك أحياناً على الطبيعة، ويكون أمرا عظيماً أن تحتمله بصمت.

📖 فبهذه المعاكسات وكثير مثلها، يختبر الربّ عادة، عبده الأمين.

📖 كيف يستطيع أن ينكر ذاته، ويكسر إرادته في كل شيء.

📖 فإنك قلما تجد أمرا تحتاج فيه الى إماتة نفسك، بقدر ما تحتاج الى ذلك عندما ترى وتحتمل ما يعاكس إرادتك، ولا سيما إذا أمرت بعمل أمور تراها غير مناسبة وقليلة الفائدة.

📖 ومن حيث أنت مرؤوس لا تجسر على مقاومة سلطة أعلى، فإنك تستثقل السير بحسب إشارة غيرك، والتخلي عن كل رأي ذاتي.

📖 ٦ ـ ولكن اذكر، يا بنيّ، ثمرة هذه الأتعاب وسرعة زوالها، وما لها من أجر عظيمٍ جداً، فلا تجد فيها مشقة من بعد، بل تعزية عظمى لتقوية صبرك.

📖 فإنك بدلا من هذه الرغبة اليسيرة، التي تتخلى لي الآن عنها طوعا، سيكون لك في السماء دوام تحقيق مشيئتك.

📖 هناك تجد كل ما تريد، وكل ما تستطيع أن تبتغي.

📖 هناك تتمتع بجميع الخيرات، دون خوف من فقدانها.

📖 هناك تكون إرادتك واحدة مع إرادتي على الدوام، فلا تبتغي شيئا خارجا عني، أو خاصاً بها.

📖 هناك ما من أحد يقاومك، ولا أحد يتشكى منك، ليس من يعوقك، ولا ما يعترضك، بل كل ما تشتهي يكون متوفراً لديك في آن واحد، فيشبع جميع رغائبك، ويملأها حتى الجمام.

📖 هناك أكافئ على الأهانات بالمجد، وعلى الاكتئاب بحلة التسبيح،

وعلى المحل الأخير، بعرش الملك الى الأبد. هناك تظهر ثمار الطاعة، ويفرح بمشاق التوبة، والخضوع المقرون بالتواضع يكلل بإكليل المجد.

🕮 ٧ - فها نحن الآن إذن بتواضع تحت أيدي الجميع، ولا تكترث لمن قال هذا الشيء، أو أمر به، بل فليكن جل همك، إذا أمرت بشيء أو رغب إليك فيه –ٌ سواء كان ذلك من قبل رئيس، أو مرؤوس، أو عديل –أن تتأول كل شيء تأولاً حسنا، وأن تجتهد في تتميمه بنيةٍ خالصة.

🕮 ليطلب الواحد هذا الشيء، والآخر ذاك، وليفتخر الواحد بهذا الأمر، والآخر بذاك، ولينالوا ألف ألف مديح، أما أنت فلا تفرح بهذا ولا بذاك، بل باحتقار نفسك، وبإرضائي، وإكرامي أنا وحدي.

🕮 هذا ما يجب أن تتوق إليه: أن يتمجّد الله فيك دائما، سواء بالحياة، أم بالموت

كتاب الاقتداء بالمسيح - توما الكمبيسي - السفر الثالث - صفحة ٣٢٩ - ٣٣٧

{٦}

القديس أنبا مكاريوس

درجات في الملكوت

🕮 **٣- سؤال:** حيث أن هناك البعض يبيعون ممتلكاتهم، ويطلقون عبيدهم أحراراً، ويحفظون الوصايا، ومع ذلك فانهم لا يسعون لنوال الروح في هذا العالم.

🕮 فهل بعيشتهم هكذا لا يدخلون إلى ملكوت السماوات؟

🕮 جواب: هذا موضوع دقيق وحساس.

📖 فإن البعض يتكلمون عن ملكوت واحد وجهنم واحدة.
📖 ولكننا نحن نتكلم عن درجات كثيرة، ومقاييس متنوعة في كل من الملكوت وجهنم.
📖 وكما انه توجد نفس واحدة في جميع الأعضاء، ولكنها تعمل في المخ من فوق، وفي نفس الوقت تحرك القدمين من أسفل.
📖 هكذا أيضاً فإن اللاهوت يحتوي كل الخلائق السماوية، والتي في عمق الهاوية، وهو يملأ الخليقة في كل مكان، رغم انه متعالي جداً على الخلائق، لأنه غير محدود، ويفوق كل فهم وإدراك.
📖 فهذا اللاهوت ينظر إلى الناس، ويهتم بهم، بنوع خاص، ويقود كل الأشياء بتدبير عنايته بحسب الحكمة.
📖 وحينما يصلي البعض غير عارفين ما هو الذي يطلبونه.
📖 بينما يصوم آخرون. وآخرون يواظبون على خدمتهم.
📖 فإن الله كقاض عادل يعطي كل واحد حسب مقدار إيمانه، لأنهم إنما يفعلون ما يفعلونه بتقوى الله.

📖 **ولكن ليس جميع هؤلاء بنين، أو ملوك، أو ورثة.**
📖 **٤-** ويوجد في العالم بعض قتلة الناس.
📖 ويوجد آخرون زناه. وآخرون سارقون.
📖 كما انه يوجد أولئك الذين يوزعون مقتنياتهم على الفقراء، وعين الرب على كل من هذين النوعين.
📖 وأما الذين يفعلون الخير فانه يعطيهم راحة ومكافأة.
📖 فانه توجد درجات عالية، ودرجات صغيرة.
📖 وفي النور، وفي المجد توجد درجات.
📖 وفي جهنم نفسها، وفي العقاب، يظهر انه يوجد سحرة ولصوص، كما انه يوجد آخرون ممن ارتكبوا خطايا أقل.
📖 وأما الذين يقولون إن الملكوت درجة واحدة، وكذلك جهنم، وانه لا توجد درجات فقولهم خطأ. وكم من الناس العالميين الذين هم الآن

دائماً في الملاهي، وغيرها من الأمور الباطلة.

🕮 وكم هم أولئك الذين يصلون لله ويتقونه!

🕮 وان الله ينظر إلى هؤلاء وأولئك، وكقاض عادل، فانه يعد الراحة لهؤلاء والعقاب لأولئك الآخرين.

🕮 ٥- وكما أن الناس يروضون الخيول، ويقودون بها المركبات في سباق ضد بعضهم البعض، وكل واحد يجتهد أن ينتصر على منافسة ويهزمه.

🕮 هكذا يوجد أيضاً مثل هذا الصراع في قلب أولئك الذين يجاهدون.

🕮 فالأرواح الشريرة تحارب النفس، بينما الله والملائكة يراقبون الحرب ويلاحظونها، وفي كل ساعة تخرج من النفس أفكار جديدة، يحركها الشر الذي يحارب في الداخل.

🕮 إن النفس لها خطط كثيرة خفية، وهي تنتج هذه الخطط وتلدها في وقتها المعين. والشر أيضاً له خطط، وحيل كثيرة، وهو يولد اختراعات جديدة ضد النفس ساعة بعد ساعة.

🕮 إن العقل هو قائد العربة، وهو يروض عربة النفس ممسكاً بعناق الأفكار، وهكذا يحارب ضد عربة الشيطان، التي يقودها ضد النفس.

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة الثامنة والثلاثون - صفحة ٢٧٢ - ٢٧٣

🕮 **تمجيد الأجساد التي أُقيمت نفوسها:**

🕮 ولكن في قيامة الأجساد، التي سبق أن أقيمت نفوسها قبلاً وتمجدت، فان الأجساد أيضاً تتمجد حينئذ مع النفوس، وتستنير بالنفس التي قد استنارت وتمجدت في هذه الحياة الحاضرة، لأن الرب هو بيتهم، وخيمتهم ومدينتهم.

🕮 وهم يلبسون مسكناً من السماء "غير مصنوع بأيدي" {٢كو ٥: ١}.

🕮 وهو مجد النور الإلهي، إذ قد صاروا أبناء النور.

🕮 وهم لن ينظروا إلى بعضهم البعض بعين شريرة، لأن الشر قد نزع

منهم، وهناك "لا يوجد ذكر وأنثى ولا عبد وحر" {غل ٣: ٢٨}.

📖 لأن الجميع يتغيرون إلى طبيعة إلهية، ويصيرون ذوي صلاح وخير، وآهل، وأبناء لله.

📖 هناك يخاطب الأخ أخته بسلام بلا خجل، أو تشويش، لأن الكل واحد في المسيح، ويستريحون في النور الواحد.

📖 والواحد ينظر إلى الآخر، وفي نظره يضيء بالحق، في التأمل الحقيقي للنور الذي لا يعبر عنه.

📖 أمجاد تفوق كل تعبير:

📖 **٣-** وهكذا بأشكال كثيرة، وأمجاد إلهية كثيرة متنوعة، ينظرون بعضهم بعضاً، وكل منهم يندهل ويفرح "بالفرح الذي لا ينطق به" {١بط ١: ٨}، إذ ينظرون مجد بعضهم البعض. أنظر كيف أن أمجاد الله تفوق كل تعبير ونطق وتفوق كل فهم فهي أمجاد النور الذي لا يعبر عنه والأسرار الأبدية وخيرات لا تعد ولا تحصى.

📖 وكما انه في عالم الحواس يستحيل على أي إنسان أن يدرك عدد نباتات الأرض، أو البذور، أو أنواع زهور الأرض، ولا يقدر إنسان واحد أن يقيس، أو يفهم غنى الأرض كلها. وكذلك في البحر لا يستطيع إنسان أن يحصي الكائنات الحية التي فيه، بكل أنواعها واختلافاتها. أو أن يقيس مياه البحر واتساعه وعمقه.

📖 وكذلك في الهواء لا يستطيع أحد أن يعرف عدد الطيور، أو أنواعها وأجناسها. وأيضاً لا يستطيع أن يفهم عظمة السماء، ويدرك مواقع النجوم ومساراتها.

📖 هكذا أيضاً فانه يستحيل النطق، أو الوصف لغنى المسيحيين الذي لا يقاس، ولا تستطيع أن تدركه العقول. لأنه أن كانت تلك المخلوقات لا عدد لها، ولا حصر، ولا يستطيع أن يدركها عقل إنسان تماماً، فكم بالحري يكون ذلك الذي خلقها وأعدها!

📖 لذلك ينبغي على كل واحد بالحري أن يفرح جداً ويسر، لأن مثل هذا الغنى، ومثل هذا الميراث، قد أعد للمسيحيين، حتى انه لا يستطيع أحد أن ينطق به، أو يشرحه شرحاً كافياً.

📖 بل بكل اجتهاد واتضاع، ينبغي أن نسير في الجهاد المسيحي، وننال ذلك الغنى، لأن ميراث المسيحيين ونصيبهم هو الله نفسه.

📖 كما يقول النبي "الرب هو نصيب ميراثي وكأسي" {مز ١٦: ٥}

📖 والمجد لذلك الذي يعطي نفسه ويشرك نفوس المسيحيين في طبيعته المقدسة إلى الأبد آمين.

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة الرابعة والثلاثون - صفحة ٢٥٣ - ٢٥٥

📖 من هم المسيحيون بالحق؟

📖 **٨-** فالمسيحيون إذن هم من عالم آخر، وهم أولاد آدم السماوي، جنس جديد، أولاد الروح القدس، وأخوة المسيح المضيئين مثل أبيهم، آدم السماوي المضيء.

📖 وهم من تلك المدينة، ومن ذلك النسب، ومن تلك القوة، انهم ليسوا من هذا العالم، بل من عالم آخر، والرب نفسه يقول "أنتم لستم من هذا العالم كما إني أنا ليست من هذا العالم" {يو ١٧: ١٦}.

📖 ولكن كما أن التاجر الذي كان في رحلة طويلة لأجل تنمية تجارته، ويكون قد سبق قبل عودته وأرسل لأصدقائه ليهيئوا له منازل وحدائق وملابس بحسب ما يلزمه، وحينما يعود إلى بلدته فانه يحضر معه أموالاً كثيرة، ويلاقيه أصحابه وأقرباؤه بفرح عظيم.

📖 كذلك في الأمور الروحانية، فالذين يجعلون الغنى السماوي هو موضوع عملهم وانشغالهم، فان أصدقاءهم وأهل بلدتهم، أي أرواح الصديقين القديسين والملائكة، يعرفون عملهم واهتمامهم، ويقولون بفرح وإعجاب: "إن إخوتنا الذين على الأرض قد أتوا بغنى عظيم.

📖 فهؤلاء عند رحيلهم من العالم يكون الرب معهم، ويسببون فرحاً

عظيماً لأولئك الذين هم فوق، وأولئك الذين هم خاصة الرب في السماء، يستقبلونهم مجهزين لهم بيوتاً، وبساتين وملابس كلها لامعة وثمينة جداً.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة السادسة عشر ـ صفحة ١٣٨ ـ ١٣٩

درجات النعمة المجد في الأبدية

📖 ١- أن قيامة النفوس المائتة تحدث الآن في هذه الحياة.

📖 وأما قيامة الأجساد فتحدث في ذلك اليوم {الأخير}.

📖 وكما أن النجوم جميعها ثابتة في السماء، إلا أنها ليست جميعها متساوية، بل يختلف الواحد عن الآخر في اللمعان والحجم {١كو ١٥: ١٤}. هكذا الأمور الروحانية، فانه توجد درجات من التقدم "بحسب مقدار الإيمان بالروح الواحد نفسه" {رو ١٢: ٣، ١كو ١٢: ٩}.

📖 إذ يكون واحد أكثر غنى من الآخر.

📖 والكتاب يقول "إن من يتكلم بلسان ... يتكلم بروح الله" {١كو ١٤: ٢}. فهو إنسان روحاني يكلم الله "وأما الذي يتنبأ فيبني الكنيسة" {١كو ١٤: ٤}، وهذا الأخير عنده قدر أكبر من النعمة.

📖 فالأول يبني نفسه فقط، أما الثاني فانه يبني الكنيسة أيضاً.

📖 وهذا يشبه حبة الحنطة التي تزرع في الأرض، فنفس الحبة في نفس الأرض تنتج حبوباً كثيرة ومختلفة.

📖 وأيضاً سنابل القمح بعضها كبير، والبعض الآخر صغير، ولكن كلها تجمع معاً إلى بيدر {جرن} واحد، والى مخزن واحد.

📖 ورغم أن الحبوب مختلفة إلا إنها يصنع منها خبز واحد.

📖 ٢- وكما انه يوجد في المدينة جموع من الناس، بعض منهم أطفال والبعض رجال، والبعض شبان أحداث، ولكنهم جميعاً يشربون من ينبوع واحد، ويأكلون من خبز واحد، ويستنشقون هواء واحداً.

📖 أو في حالة المصابيح، فهناك مصباح له فتيلتين، وآخر له سبعة،

ولكن حيثما تكون فتائل النور أكثر عدداً، فهناك تكون الإضاءة أكثر.

هكذا كل الذين هم في النور، لا يمكن أن يكونوا في الظلمة، ولكن توجد بينهم درجات مختلفة في النور.

وإذا كان لأب ابنان، أحدهما طفل، والآخر شاب، فانه يرسل الشاب إلى المدن، والبلاد الغريبة، أما الطفل فانه يحفظه دائماً تحت رعايته، لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً. والمجد لله آمين.

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة السادسة والثلاثون - صفحة ٢٥٨ - ٢٥٩

{٧}

قديسون أخرون

{٣} ملكوت الله، وهي معرفة الثالوث الأقدس، بمقدار ما يتسع له العقل، وهو الذي يكسبه عدم الفناء الفائق.

كتاب التداريب الروحية - لمار اوغريس - صفحة ٢٥



١٢٠- ما هو هدف قانون كلمة الله المتجسد، الذي يكرز به في جميع الكتب المقدسة، لكن نحن الذين نقرأها لا نعرف؟

الهدف الوحيد هو أنه بعد أن دخلنا فيما يخصنا، يجب أن نشاركه فيما يخصه.

إن ابن الله صار ابن الإنسان، ليجعلنا نحن البشر أولاد الله، ويرفع جنسنا بالنعمة إلى ما هو نفسه بالطبيعة، ويمنحنا ميلادا من فوق بنعمة الروح القدس، ويرشدنا في الحال إلى ملكوت السماء، أو بالأحرى، يمنحنا ملكوت السماء هذا في داخلنا لو١٧: ٢١، حتى لا نكون فقط في حالة الشبع بالأمل في الدخول فيه، بل الدخول إلى حد الاستيلاء التام عليه، ونصرخ قائلين "حياتنا مستترة مع المسيح في الله" {كو٣: ٣}.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٧٢ - ١٧٣



📖 **قال شيخ:**

📖 "لتكن همتك في ملكوت السماوات، وأنت سريعاً تخلص، وترثها".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٧



📖 **وقال أنبا موسى الأسود:**

📖 أذكر ملكوت السماوات لتتحرك فيك شهوتها.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٧



📖 **قال القديس باسيليوس:**

📖 "إن كان غير لائق إن نستشهد بإنسان شريف على أمر حقير، فكم بالحري الله تعالى".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٧



{٨}

القديس يوحنا السيوطي

التغيير العتيد أن يحدث للإنسان في الحياة المزمعة

📖 لماذا كثرت الآراء، وتضادت الأفكار الغير موافقة بعضها لبعض، ويكاد لا يظهر الحق في واحدة منها؟

📖 الآراء الكثيرة تدلنا على عظم الاتحاد في معرفة اللـه.

📖 أما الأفكار المتنوعة فتوضح نقص حكمتنا، وعدم كمال معرفتنا. كما أن أشكال مناظره الكثيرة تدل على عدم إدراكه.

📖 فلو كان اللـه يرى لكان منظره واحدا فريدي، ولا يظهر بالأشباه.

📖 ولو كانت معرفته "معرفة اللـه" يمكن أن ينطق بها، لما كانت هناك آراء كثيرة. وكما أن جميع أشكال مناظره لا تنطبق على منظره تماما، لكنها تدل على وجوده.

📖 فهذه الآراء جميعها مع الأفكار، لا تحد غنى حكمته، إلا أنها تفهمنا الكثير من معرفته، لأن الدلائل وتراكيب أنواع هذا العالم ليست فيها الكفاية لتنطق بسر معرفة الله.

📖 وكما أنه عندما تبطل هذه الطبائع المنظورة، تبطل معها أيضا الأشكال التي بها ينظر، ونعرفه بمنظر جديد غير معروف لنا ههنا.

📖 لأنه عندما تسكت جميع اللغات يبطل كل كلام الدلائل، ويظهر بمعرفة جديدة سر غنى معرفته في العالم الجديد، بغير حد، أو قياس، وتبطل كل اللغات، وتستأصل كل المعرفة، وجميع الحركات.

📖 كيف نظن أننا قد أدركنا الحق بالأفكار التي لنا اليوم؟

📖 أو هل نظن أن تكون معرفتنا بالحياة الجديدة بشيء تستطيع حواسنا الداخلية أن تضمره ـ ولماذا تستطيع هي أن تضمره؟

📖 ذلك من أجل السبب العائق لها التي هي الضلالة.

📖 وعندما تشقى حواس النفس التي هي: العقل، والذهن، والفهم، والقلب، لكونها تأذت بالأفكار الردية، والعادات المختلفة، وضعفت عن المعرفة الصحيحة، وصارت سقيمة لا تستطيع قبول عظمة معرفة الحياة الجديدة، بل إذا شفيت أولاً بطلت منها عيوب الأفكار الردية، وتقوت عن ضعفها بالأرضيات. وعندما تتفاضل بالصحة الروحانية، تستطيع أن تتحرك بمعرفتها بأسرار الله.

📖 والأمر واضح أن المانع ليس من الله، في عدم تفاضل الإنسان في المعرفة الروحانية، لكنه من الإنسان ذاته، لأن ضعفه لا يجعله كفؤا لتلك العظمة جميعها.

📖 كما أن النور ليس هو السبب في عدم ظهوره للعميان، ولكن الغشاوة الحادثة لسبب ما في العين هي السبب في عدم نظرهم النور. فلنطهر قلبنا من الشرور، وعند ذلك نصير عارفين بأسرار الله،

لأن ربنا أعطانا المعرفة. ولنبطل الآن منا الأفكار الجسدانية، وعند ذلك نتحرك بالأفكار الروحانية. وننقى أنفسنا من الإثم، وعند ذلك نؤهل لنظر خفايا أسرار اللـه.

🕮 فهو لا يخفيها عن الناس، ولكن حصلت للناس الأذية فأعاقتهم عن النظر. وكلما يهتم الإنسان ويجتهد أن يشفى عيوب نفسه، هكذا يقتنى صحة روحانية، وترتفع نفسه بفضيلة الخفيات.

🕮 ولأن الناس لا يريدون فعل هذا، فنعمة اللـه ستكملهم في العالم الجديد. وبفعل قوته الإلهية يبطل كل ما يضاد للبشر. وكما أنه هو الذي شاء فخلقهم، هكذا أيضا يكملون بإرادته حسب مواهبه في القيامة بنعمته.

🕮 لهذا يلزم تواضع جميع المخلوقين، لئلا يظنوا أن الأشياء العظيمة هي من أجلهم، أو نقص الأشياء الحقيرة يفكروا أنها من أجلهم، بل بأمل الرجاء العتيد نتدبر في الصلاح ببشاشة، لأنه ليس شيء في هذا العالم أفضل من التدبير الحسن بإيمان الرجاء باللـه.

🕮 وقد أوضحت لك هذا حسب نقص معرفتي لكي تعرف ماذا تطلب من اللـه. فلا تشتهى شيئا تنظره العين، بل أطلب وتضرع أن تستحق لما تحس به النفس لمعرفة الحق.

🕮 لأننا قد دعينا لرجاء آخر يا إخوتي، فلا نجعل ضميرنا موضوعا في هذا العالم، بل ننتقل يا إخوتي بعقولنا من هذا المكان، إذ أننا لسنا موضوعين للاهتمام بالعالم، بل لنعرف تلك العظمة العتيدة لأنها عظيمة جداً. وبهذه الحياة الوضعية "الأرضية" نتعلم جمال تلك الحكمة التي تظهر لنا في أعماله.

🕮 ليس أحد من الصبيان الذين يدخلون للتعليم، يهتم أن يتعلم حكمة إتقان ذلك المكان "مكان تعليمهم" بل إنما يسكنه فقط من أجل تعلمه الكتب. فلماذا نحن الذين في هذا العالم نعتني بإتقانه.

📖 فلنخشى لوم أبينا الحقيقي، لئلا يقول لنا بحكمه العادل، لماذا ضللتم أيها البشر، بالعالم الذي وضعتكم فيه، لأني لم أضعكم فيه لتحبونه، بل لتتعلموا فيه حكمة أسراري. فلنخلي ذواتنا من هذه الحياة، ونتبع الله بجملتنا حسب إرادته، ولتكن أفكارنا جميعها مهتمة به، ونتدبر في أيامنا القصيرة بالصالحات، لكي إذا ما ملك حبه في أنفسنا نمجد ذاك الذي أعطانا الحياة الأخرى بغنى حبه.

📖 قد شاء الله بتحننه، وأقام العالم بما فيه من مؤذيات كثيرة، ومحزنات عديدة، ووضع أولاً الناس فيه وهم غير متفاضلين في المعرفة، ليفهموا سياسته، والأسباب المعيقة لذلك. والأسباب المعيقة لذلك ليست بقليلة، لأن كثرة الخطايا سهلة، والضلالة قريبة ومتيسرة.

📖 أما تعلم الصالحات فأمر شاق، والطبع مائل للزلل بشهوات الخطية.

📖 وقد ملكت الميالة "الانحراف" والبعد من الله في جميع المسكونة إلى حين ظهور سيدنا المسيح.

📖 وحتى الآن بعد جميع هذه السياسة التي لا ينطق بها "مل الفداء"، فالضلالة موجودة في سائر أقطار الأرض، ولم يذعن الناس ليبتعدوا من الخطية الحيوانية.

📖 والله مزمع أن يكمل الطبع البشرى بروحانية فائقة عن هذا "الطبع" في النهاية، لأنه وضعهم أولاً في الجسد، ونقول إذ أن معرفة أسرار الله مخفية عن جميع المخلوقين.

📖 وحسب مقدار الإنسان تظهر معرفتها، فيتضح عدم إدراكها بما هو مخفى عن جميع المعارف. ويعلمنا أن موهبة نعمته تظهر بأجزاء وأشباه مبررة الحكمة مجانا.

📖 ومن أجل أن طبع الله مرتفع عن لون المنظر، وعن شبه الأيقونات "الصورة" ومن نظر الأوجه، ولا يعرف إلا من تدبير سياسته أنه

موجود. وأراد أن يظهر قوته المدهشة، بطبع حقير مهان "بالتجسد" لكي يعرف سلطان لاهوته بما صنع فيه من سياسة.

🕮 ومن أجل هذا أقام عالما مركبا، ووضع فيه صورة مركبة "الإنسان". بشبه تركيب العالم، وربطه باحتياج أمور الخليقة، وجميع احتياجات الجسد، ووضع له متضادات.

🕮 ولكون طبيعة الجسد تحب الشهوات، أكثر المؤذيات في العالم، ليكون في خوف ورعب من كثرتها، وتتبغض شهواته بهذه الأسباب لئلا تعظم خطيته.

🕮 ولا يرتبط بعالمه بسبب كثرة مضاديه، ويتضايق بأحزانه فلا يكون له رجاء في بلده، لأنه عندما ينظر كثرة المضادات في هذه الخليقة يتضرع لذاك الغير منظور، ولذلك جعل احتياجه لطبائع العالم، وبالتغير من وقت إلى وقت يعرف أن الله موجود بسياسته.

🕮 لو كانت قوة سياسته للعالم تظهر بالطبيعة الشريفة الفاضلة، لما كانت الأمور عجيبة. كما أنه بطبع حقير مهان أوضح حكمته.

🕮 ولما كان شكل الجسد ليس كفوءا أن يحس بالسياسة التي صارت فيه، أوجد فيه طبع حساس أعنى النفس، لكي يحس بها الإنسان السياسة والتدبير التي تكون فيه.

🕮 ولما كان الله لا يحد بمعرفة سياسته في هذا العالم فقط، مع أن سكانه يظنون أن هذا هو حد كل شيء، أعنى هذا الشيء الذي يرى، أوجد فيهم طبع غير مائت، وهو النفس.

🕮 فإذا كانوا ينحلون من هذه الحياة، تثبت نفسهم مرتفعة عن الموت بالضرورة، بدون أن يعطيهم حياة أخرى خارجة عن هذه الحياة المنظورة، ويوضح لهم وجوده، عندما يضطروا أن يتأملوا شيء آخر خارج عن هذا العالم، لأن فيهم نفس لا تموت.

🕮 وقد سبق وركب هذه الخليقة بجميع المحاسن، لكي يستدلوا على

عظمة قوته، وفعل سلطان حكمته بزينة إتقانها، وبذلك يتدرجوا ويعلموا قليلا قليلا، ليس عن الحكمة التي في طبيعته، لأن الأعمال ليست كافية لتوضيح ذلك "السموات تحدث بمجد اللـه" " مز١٩: ١ "، ليس عن مجد أزليته، بل مجد أعماله.

📖 ولما كانت الأعمال لا تخبر عن مجد عظمته، بل المجد الذي يظهر بأعماله، تبع ذلك بقوله "الفلك يخبر بعمل يديه" " مز١٩: ١ " أي أنها توضح فعله فقط، وليس لاهوته، ومهارة حكمته التي بالأعمال، التي موجودة في طبيعته.

📖 وعندما شاء أن يظهر بوحيده سياسة أخرى تنادى بعالم آخر، استعمل المسكنة والمحقرة "الاتضاع"، حتى يظهر مجد حكمته بهذه الأشياء المهانة في العالم.

📖 لذلك يجلب أيضا طبع الجسد الحقير للقيامة من بين الأموات، ويغيره بروحانية ممجدة، لكي تتعجب المسكونة من قوته المدهشة.

📖 وحتى القوات السمائية تتعجب لموهبة نعمته، لا لأنهم يتفاضلوا بطبع ممجد، وإنما بموهبة اللـه ازدادوا.

📖 أما عن تعلم القوات السمائية، وكيف يفهمون عظمة اللـه، فليس لطبيعة الكلام أن تصف ذلك.

📖 لو كنا نبحث كيفية طبعهم لقلنا أيضا كيف تظهر فيهم معرفة اللـه؟

📖 فلا يحتاجون أن يتعلموا من الأمور الجسدانية، التي في هذه الخليقة عن اللـه، بل من الأشياء التي تصنع عندهم.

📖 فكما أننا نعرفه بهذه الأشياء التي صنعها عندنا، هكذا هم يعرفوه بالشيء الذي صنعه عندهم. وبسياسة الأسرار الروحانية التي فيهم. وليس من العدل أن يكون طبعهم مرتفع عن طبعنا، وتنزل معرفتهم إلى معرفتنا.

📖 وقد كانت الجموع العلوية، والشعوب السفلية، غير عارفين ما هو

التغيير الذي يريد اللـه أن يصنعه بهذا الطبع البشرى.

🕮 ولا لأي عظمة يرتفع بواسطة ابنه الحبيب، مع أسرار لا حد لها مخفية بسياسة تجسد المسيح. ولم يكن يعرف هذا الأمر إلا للـه فقط.

🕮 وعندما بلغ الوقت ليظهره في عالمنا، وبدأ يعلن هذا السر للبشر، عرف للملائكة حسب عظم معرفتهم، لأنهم أقرب إلى اللـه أكثر منا.

🕮 لذلك فسياسة اللـه عند القوات العالية أعظم من السياسة التي عندنا، كما أن طبعهم أفضل من طبعنا. ولأجل تعليمنا وضع اللـه لنا هذه المرئيات، إلى الوقت الذي يشاء فيه أن يكمل طبعنا أزيد مما هو.

🕮 لذلك ظهر لنا بالشيء الذي نستطيع أن نسمع وننظر به، وتكلم بإرسال جند مملكته، لأنهم ينزلون من عالمهم إلى عالمنا، ونسمع كلامهم بأصوات، ويظهروا لنا الشكل حسب سبب إرسالهم.

🕮 فبالواسطة تفعل سياسة اللـه في هذا العالم، لأن الملائكة أعلى من الجسد، ويظهروا لنا شكل الجسد، لأن الطبع الروحاني له سلطان إظهار أشكال الجسد بسهولة أكثر مما للمصور أن يرسم أي شيء على الحائط، ولا يتغير طبعه للشبه الذي يصوره، وبذلك يسهل للطبع الروحاني أن يظهر كل الأشكال، ويثبت كما هو.

🕮 وكما أن العقل له سلطان أن يصور في فكره شبه ثور، أو أسد، في أي وقت يشاء، وبدون أخذ العناصر يركب قدام نظره جبلا، أو برية، أو نسرا، لأن الضمير هو لطيف، وبغير التصاق بشيء له سلطان مع تفكيره أن يظهر له الشيء الذي يرغبه.

🕮 كذلك الطبع الروحاني له سلطان على كل شكل جسديا.

🕮 فلا يغير الشيطان، أو الملاك طبيعة نفسه، ويجعلها أسدا، أو ثورا، أو إنسانا، ولا يغير الطبائع، بل مثل الضمير يثبت الشيء الذي يريد أن يظهره لفكره.

🕮 وهناك اختلاف من جهة، أن الشيء الذي ينظره الضمير ليس جسم

حر، بل ينظر الذي يشاء، أما الجسد فينظر الشيء إذا كان جسما حقيقيا، لذلك لا يظهر بالنظر شيئا من القوات الروحانية.

📖 وهذا الاختلاف هو الإنسان وحده، لأن ضميره ينظر الشكل، وجسده ينظر الحقيقة.

📖 ولما كانت العناصر، وصورة الألوان جميعها غير تابعة لعالم النفس، لهذا لا ينظر ضمير النفس جسما حقيقيا في غير عالمها، لأنه لا يتحرك العقل في عالم النفس، أما الجسد فينظر أمور عالمه.

📖 مقر أسرار الطبائع هو العقل، الذي هو النفس.

📖 فإذا ما أحست النفس بسر الطبائع في مقرها، تكون مقيمة في هذه الحياة، ولا تنظر شبها بل حقيقة، لأن الشيء الذي تدركه النفس هو تابع لمقرها. فكما أن الجسم هو مقر الجسد، كذلك العقل مقر النفس.

📖 وليس النفس شيئا، والعقل شيئا آخر.

📖 إنما النفس هي العقل، والعقل هو النفس.

📖 فإذا كان الإنسان مستلقى على راشه ويفكر بالشرور، فهذا مقر راحة ضميره. ولما كان الجسم موضوع في الوسط بين النفس والله، وليس لطبيعته أن ينظر إلا نظرة ظاهرية.

📖 وفى العالم الجديد يرتفع الجسد عن جميع البشريات "الأمور الجسدية" ويصير كله أقنوماً روحيا، لذلك لا تكون استعلانات الله عند القديسين بواسطة آخرين "ملائكة" بل يظهر أسراره في الخفاء للنفس التي استحقت أن ترتفع عن الأمور الجسدية.

📖 فلا تكون نظرتها للأسرار الخفية بفحص، أو بعناء التفتيش، إنما لنقاوتها من جميع الشرور استحقت الدنو من الله.

📖 لذلك لا تكون استعلانات الله لهذا الإنسان بنظر العين، بل بالقوة الإلهية تتشجع حواس نفسه ليقبل أسرار العالم الجديد.

📖 واستعلان ذلك العالم يرى للإنسان في الخفاء كما قال الرسول: "إني أرغب إلى الله لأجلكم أن يعطيكم روح الحكمة والاستعلان في معرفته" أف١: ١٦ ـ ١٧.

📖 ليس استعلان كالذي ظهر للأنبياء بعيني الإنسان الخارجي، بل لتستضيء أعين قلوبكم فيكون استعلان الله بإنسانكم الجواني بمعرفته. لأنه بالسياسة التي صارت في هذا العالم للنظر بالأعين، يقدر الشيطان أيضا أن يتشبه كما قال الرسول أنه يتشبه بملاك نور " ٢كو١١: ١٤ ".

📖 وجميع مناظر الشيطان محدودة بنظرة الجسد، لأنها أشباه ليست حقيقية. ولكونه ألطف " أخف " من الجسد، يقدر أن يظهر له نوع نظرته، لكنه لا يقدر أن يظهر ذلك للعقل لأنه لا ينظره.

📖 كما أن جميع المناظر التي حدثت بالسياسة الخفية التي في طبع النفس، ألطف من طبع الشيطان، فلذلك لا يقدر أن يظهر لها مناظر لأنه لا ينظرها. فالشيء الذي ينظره طبع النفس لا يقدر الشيطان أن يوضحه، لأنه الشيء الذي لم ينظره كيف يمكنه أن يوضحه؟

📖 ولكون الله ألطف من كل شيء فإنه يقدر أن ينظر كل الأشياء، وفى الخفاء يعرف النفس المستحقة استعلانات الحياة الجديدة.

📖 كما أن الطبع الروحاني لا ينظر الطبع الروحاني الأعظم منه، إنما الأشرف ينظر ما هو أدنى منه، ونفهم ذلك من التفاوت في معرفتهم العظيمة. وإن كان كثيرون قالوا إن طبع الملائكة، والشياطين، والأنفس واحد، فلماذا لا ينظروا بعضهم إذا كانت طبيعتهم واحدة؟

📖 اعلم الآن أن الضمير نفساني، ويتضح بالأفكار النفسانية، لأن الطبائع الروحانية لا ينظرون بعضهم بعضا حسب نظرة الجسد، لأن نظرة الجسد هي نوع آخر لكونه مركبا من أجزاء كثيرة، أما الأقنوم الروحاني فلا يختلف عن نظرته لأنه لا يتركب من أجزاء كثيرة،

إنما إذا كان ينظر فجميعه ناظر، لأن نظرته غير موضوعة خارجا عن معرفته، بل نظرته هي معرفته.

🕮 وإن كان قد قيل عن نظرنا الداخلي أنه المعرفة، حسب قول الرسول "مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا" " أف١: ١٨ " فإذا كانت نظرة إنساننا الداخلي هي معرفتنا، فبالأولى تكون نظرة الطبع الروحاني هي معرفته.

🕮 فإن كان قد اتضح لنا أن نظرته "الطبع الروحاني" هي معرفته بالبرهان، وهم غير متساويين في المعرفة حتى ينظروا بعضهم البعض، لذلك لا ننظر الملائكة، لأنه ليس لنا معرفة عنهم، ولا الشياطين ينظرون الملائكة لأنهم لا يعلمون عظمتهم.

🕮 ولو أن الطبع واحد، حسب قول كثيرين، حتى تستطيع هذه الرتب أن تنظر بعضها البعض، فهوذا الناس مع أن جميعهم طبع واحد نفساني، وجسداني. فالناقص في المعرفة لا ينظر المرتفع عنه، ولا يعرف كيف أو أين هو.

🕮 أما المتعال في المعرفة فينظر جميع الذين هم أقل منه، ويعرف آلام ضمائرهم، وكثيرا ما يعرف ضميرهم الداخل من نظره لوجوههم.

🕮 وإن كان طبع القديسين أحط من الملائكة في هذا العالم، ولكنه يتفاضل في العالم الروحاني ويكونوا كملائكة الله، عند ذلك ينظرون الملائكة باختلاطهم معهم.

🕮 فإذا لم يصيروا روحانيين كيف يستطيعون أن ينظروا الملائكة، كما أننا نحن لا ننظر طبعهم في هذا العالم. وما المنفعة من تغيرهم ليكونوا معهم ولا ينظرونهم، عندما يرتفع ضميرهم بالروح.

🕮 وربما يسأل سائل إذا كان طبع النفس ألطف من طبع الشيطان، لماذا لا ننظره؟ وكيف يسجس العقل، ويخرس الكلام، ويتلف الذهن في المصابين بالجنون؟

📖 نقول إنه لا يخبط "يشوش" طبيعة النفس إذا ما أراد أن يخرس الكلمة، أو يشوش العقل، لأنه لا يتقدم إليها ليؤذيها وحدها، بل لكون قوة طبيعتها مختلطة بالجسد، وبالأكثر في المخ، وفى القلب.

📖 فيفعل أحد السحرة باستخدامه الشياطين، أو الشيطان ذاته يتقدم ليؤذي أحد هذين العضوين، إما القلب، أو المخ، لكونها ينبوع الأفكار الطبيعية، والكلام، ولكون قوة النفس فيهما كما قلت، وبهما يكون حفظ العقل، وبأذية هذين العضوين يتشوش العقل، ويتعطل الكلام.
📖 كما أن النظر بالعين، والسمع بالأذنين، هكذا بالعقل، لأن الإنسان إذا أراد أن يؤذى نور العينين لا يلمس النور إذ هو ألطف من اللمس، بل يقرب إلى جوهرة العين ويضرها، وبذلك تحدث الأذية لنور العين. هكذا أيضا بأذية القلب والمخ، تحصل الأذية للفهم والتمييز.
📖 فلا ينظر الشيطان النفس ويلمسها، بل بألم وأذية الأعضاء التي فيها قوة النفس مخفية، يحصل الاضطراب للأفكار التي تتحرك بهم.
📖 فلو كان يدنوا للنفس ليؤذيها لكان أيضا بعد خروجها من الجسد يمكنه أن يؤذيها، لكنه لا يستطيع أن ينظرها، وليس له سلطان عليها، إنما سلطانه على الجسد فقط.

📖 قلت هذا لكي أفهمك أن تكون لك طلبة واجتهاد أمام الله، حتى لا تشتهى ما تنظره بالعين، ولا ما تسمعه الأذن، بل أطلب وتضرع أن يؤهلك لنوال الشيء الذي لم تنظره عين، ولم تسمع به إذن، ولم يخطر على قلب بشر، ذاك الذي بالنفس يلمس بمعرفة الحق.
📖 أما عن المنظر المكتوبة في الأنبياء فقد كان حدوثها حسب ضعف الشعب، وحسب سياسة تدبيره لهم أظهر هذه المناظر.
📖 وأما الاستعلانات الحقيقية التي في الحياة الجديدة فهي تظهر فقط للنفس التي ارتفعت عن سجس "تشويش" الأفكار، وليس للأذن أن

تسمعها لأنها لا تقال للإنسان بالصوت، وإنما تكون مفاوضتها خفيا مع الإنسان الداخلي.
🕮 وليست تنظر أيضا بالعينين لأنها لا تثبت بالشكل والألوان.

🕮 لذلك فلنجتهد في طلب الشيء النافع لنا، ونتضرع إلى الله أن يعطينا هذه التي قد جاد بها لكي يمنحنا إياها.
🕮 قد دعينا يا أحبائي للرجاء والأمل، فلا نجعل ضميرنا يثبت في هذا العالم، بل ننتقل بعقولنا من هنا.
🕮 فلم يضعنا الله في هذا العالم لنهتم به "العالم"، بل لنتعلم من حقارته عظمة العالم المزمع، ونتدرب فيه بهذه الحكمة التي يظهرها لنا بأعماله، له المجد دائما وعلينا رحمته إلى الأبد آمين.
كتاب الآباء الحاذقون في العبادة ـ الجزء الثاني ـ القديس يوحنا السيوطي ـ صفحة ١٣٥ ـ ١٤١

{٩}

ق: غريغوريوس السينائي

🕮 **{٣٣}** يتنوع العذاب كما يتنوع ثواب الأبرار.
🕮 كل أنواع العذاب مثواها نار جهنم حسب كلمة الكتاب "أرض ظلام مثل دجى ظل الموت، وبلا ترتيب، وإشراقها كالدجى" " أى١٠: ٢٢ "
🕮 الخطاة والأثمة يرجعون إليها بعد إعلان حكم الإله النهائي "الأشرار يرجعون إلى الهاوية" " مز٩: ١٧ ".
🕮 والموت يرعاهم " مز٤٩: ١٤ ". هذه الكلمات في الكتاب المقدس لا قصد بها غير الحكم النهائي، والدينونة الأبدية.

🕮 **{٣٤}** النار، والظلام، والدود، والجحيم، تنطبق على الانفعالات النفسية، الشهوات بكل أنواعها، وظلام الجهل الشامل، وظمأ اللذات

الجسدية، الذي لا يرتوى، ورائحة الخطية الكريهة، كلها نذر وتوقعات عذاب الجحيم. ومنذ الآن يبدأ تعذيب الأثمة الذين تتأصل في نفوسهم العادات السيئة.

{٣٥} العادات الحادة التأثير هي نذر عذاب الجحيم.

مثلها بالضبط، كمثل الفضائل الفعالة التي هي بشير ملكوت السماء.

بالأعمال الصالحة يجب أن يفهم الإنسان كيف يعمل حسب الوصايا. وبموجب الفضائل تتأصل الميول الطيبة في العادة.

وبنفس الطريقة أيضا تختلف الأعمال الشريرة. والنزعات السيئة من إنسان إلى آخر.



{٣٦} الثواب والعقاب الآتيان متساويان في الأبدية، ولو أن بعض الناس ينظر إليها نظرة مختلفة.

يرى البعض أن العدالة الإلهية تعطى حياة أبدية، ويرى البعض الآخر أنها تعطى عذابا أبديا، سواء يقضون حياتهم الحاضرة في عمل الخير، أو فعل الشر، فالكل على السواء سوف ينالون جزاءهم حسب ما يستحقون. إذ تقرر مقدار وطبيعة الجزاء، إما بالفضائل، أو بالانفعالات المتأصلة في العادة.

{٣٧} بحيرات النار هي تلك النفوس الحادة الطباع.

فيها كما في بعض المستنقعات الكريهة الرائحة، نتانة الانفعالات تغذى دودة الإفراط التي لا تنام، كما تغذى شهوات الجسد العارمة.

وتغذى كذلك الثعابين والضفادع وعلقات الشهوات الشريرة، والأفكار الكريهة المؤذية، والشياطين مثل هذه الحالة هي أيضا الآن باكورة عذاب جهنم.



{٣٨} كما أن بذور العذاب الآتي موجودة خفية في نفوس الخطاة.

📖 كذلك بذور النعم الآتية موجودة في قلوب الأبرار، حيث تعمل وتنمو روحيا، ومذاقها طيب، لأن مملكة السماء هي حياة الفضيلة، تماما مثل عذاب جهنم الذي هو العادات الحادة الطبع.

📖 **{٣٩}** الليل الآتي حسب كلمة الرب هو الدجى العتيد حيث " لا يستطيع أحد أن يعمل " "يو٩: ٤ " أو حسب تفسير آخر هو المسيح الدجال الذي يسمى الليل والظلام، أو من ناحية معنوية هو الإهمال اليومي الذي يشبه الليل المظلم يقتل النفس في سبات فقدان الشعور.

📖 **{٤٠}** دينونة هذا العالم هو عدم إيمان الكافر بالله حسب قول الإنجيل " الذي لا يؤمن قد دين " "يو٣: ١٨ ".

📖 وهي أيضا ناموس عناية الله الذي يعمل على بتر حياة الإثم. وتحويلها إلى حياة الخير والصلاح. لأن دينونة الله العادلة ترحم البار، وتعاقب الشرير، تتوج الواحد، وتبعث الآخر إلى جهنم.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٥٤ ـ ٥٦

{١٠}

القديس باسيليوس الكبير

المقالة الأولي: جمال الفردوس

"وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً
ووضع هناك آدم الذي جبله" {تك ٢: ٨}.

📖 ١ـ ليتنا نفكر الآن يا أصدقائي في طبيعة الفردوس، الذي يعتبر منحة من الله، هذا الفردوس الذي يعكس أسلوب وإرادة الخالق العظيم. فقد كتب: "وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة" {تك ٢: ٩}، لقد أراد الله أن يكون الإنسان هو وحده

متفوقا على كل شكل من أشكال الحياة الأخرى.
📖 والمكان الذي هيأه الله للإنسان، والذي خلق فيه كل شيء آخر من أجله، أراد الله أن يجعله بارع الجمال، أرضاً مرتفعة لا يمكن أن يُحجب نورها، فكان ذا جمال رائع في آمان تام، وكان بهاءة يتألق ببريق يفوق كل شيء، وينتشر شعاع ضوئه مثل نجم ساطع.

📖 فالمكان الذي غرس الله الفردوس فيه، لا توجد فيه رياح عنيفة، أو طقس موسمي، كما حافظ فيه على اتزان الحرارة، فلا تكون هناك زوابع ملتهبة، أو ريح ثلجية، أو عواصف رعدية عنيفة، فلا صيف حار، ولا خريف جاف، بل تناسب تام بين كل الفصول، يتعاقب كل فصل وراء الآخر بهدوء، وكل فصل له عطاياه المفرحة.
📖 وكانت الأرض مخصبة غنية تفيض لبنا وعسلاً، وتنتج أثماراً يانعة مختلفة، ومحاطة بمياه عذبة شفافة جميلة، تعطى سروراً للعيون، وتمنح الحياة بالحقيقة "كان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة {تك ٢: ١٠}.

📖 **٢ـ قصد الله من خلقة الإنسان:**
📖 "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية، وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله" {تك ٢: ٧، ٨}.
📖 لقد خلق الله آدم، ثم في نفس اللحظة خلق الفردوس، وأدخل آدم إليه، حتى لا يخلق البشرية في عوز وفقر.
📖 لقد خلق الكمال منذ البداية، ثم أدخل الإنسان فيه، حتى يعرف الإنسان الفرق بين الحياة في الخارج، والحياة التي تحدث في داخل الفردوس، فيدرك تفوق جمال الفردوس، وعاقبة السقوط والطرد منه. "وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن، ليعملها ويحفظوها" {تك ٢: ١٥}، لابد أن نفكر في كلمات هذه الآية، ونقارنها

بكلمات الرب يسوع المسيح له المجد لتلاميذه القديسين: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" {يو ١٥: ٥}.

📖 تعنى هذه الآية أنهم زُرعوا بيد الله، فينبغي أن نبدأ في النمو في بيت الرب، ونمتلئ بالثمار في بيت إلهنا "مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون" {مز٩٢: ١٣}.

📖 قال أيضا داود النبي: "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار ... فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطى ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل" {مز ١:١-٣}.

📖 لقد كوّن الله المكان الذي يلائم استقبال البشرية، وغرس فيه كل نوع من الأشجار الجميلة، لتفرح قلب الإنسان.

📖 كيف أضع أمام عينيك جمال مسكنك الذي طردت منه، فتشعر ليس بالحزن فقط، بل بالحنين إلى كل شيء فقدته، فتتذكر الجمال والسعادة التي كانت هناك، التي لم تختلط بالألم والتعب.

📖 أما الآن في أرض الشقاء التي طُردنا إليها، فإن الزهور تخفى داخلها أشوكاً، فتشعر بالسعادة مع الألم، وذلك يرينا أن السعادة في هذا العالم دائماً ممزوجة بالألم، فلا توجد سعادة كاملة على الأرض، لأنها سرعان ما تشتبك مع الأحزان.

📖 الزواج مع الترمل ـ جلب الأطفال مع المتاعب ـ الولادة مع الموت ـ الشرف العظيم مع العار العظيم ـ الصحة مع المرض.

📖 عندما أنظر إلى الزهور أحزن، لأن كل وقت أرى فيه زهرة أتذكر خطيتنا التي سببت فساد الأرض حتى أنبتت شوكاً وحسكاً، بل إن الزهرة ينتهي جمالها في وقت قصير جداً، فتتركنا ونحن مازلنا نشتاق إليها، ومن اللحظة التي نقطفها فيها تبدأ تموت بين أيدينا.

📖 ولكن في الفردوس كانت الزهور يانعة طوال السنة، ورائحتها الزكية لا تتلاشى، وجمالها البراق لا يزول، فهي تبقى جميلة إلى

الأبد.



فجمال الزروع كلها يعكس عمل وإبداع الخالق العظيم، فالأغصان الكبيرة والصغيرة تحمل الثمار، سواء ذات الفرع الواحد، أو ذوات الأفرع الكثيرة، وأوراقها خضراء جميلة، وتظل خضراء يانعة طوال السنة، حتى التي لا تحمل أثماراً فهي تعطى بهجة وسروراً، ولو قارناها بأي شيء في هذا العالم، فمقارنتنا لن تكون كافية لتوصلنا إلى الصورة الحقيقية، فكل شيء هناك هو كامل، ومتكامل.

"ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسنا جداً" {تك ١: ٣١}.

ففي الفردوس كانت هناك جميع الطيور الجميلة، بريشها البديع بكل أشكاله وألوانه، وتغريدها العذب، فتنعش كل الحواس.

ومع الطيور كانت كل أنواع الحيوانات تعيش في سلام، وانسجام مع بعضها البعض، فلم يكن الثعبان موضع رعب، ولكنه كان أليفا لا يؤذى، ولم يكن يزحف على الأرض على بطنه، بل كان قائماً يتحرك على أرجله، وجميع الحيوانات التي نعتبرها الآن متوحشة وعدوة للإنسان، كانت في هذا الوقت أليفة ورقيقة.

في هذه البيئة وضع الله الإنسان الذي خلقه: "وأخذ الرب الإله آدم، ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها" {تك ٢: ١٥}.

فقد خلق الله آدم في مكان ثم أدخل إلى الفردوس، وبنفس الطريقة خلق أولاً النور ثم ثبته في السماء، خلق الإنسان من الطين، ثم وضعه في الفردوس.

في الحقيقة قد أبهجتك بوصفي سعادة الفردوس، ولكن شرحت لك في نفس الوقت الحياة الممزوجة بالألم هنا في هذه الأرض، وبالتأكيد سوف يدرك عقلك مقدار المقارنة، ويشتاق إلى مسكنه الحقيقي، ويحاول أن يحصل على هذه السعادة التي وعدنا بها الوحي قائلاً:

"ما لم تره عين، ولم تسمع به إذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه" {١كو ٢: ٩}.

📖 ولكن من يستطيع أن يعرف ما لم تره عينه أولاً، وما لم تسمعه أذنه أولاً؟، لأن كل شيء ندركه بالحواس لابد أن يُطبع في الذاكرة، ولكننا عندما نشرح ونصف الفردوس بالطريقة الجسدية التي أشرنا إليها سابقاً، فأننا نستطيع أن نحس روحياً بواسطة الرموز مقدار جمال هذا المكان، لأنه كُتِبَ "وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا" {تك ٢: ٨}.



📖 فنجد أنه لم يخبرنا بكل شيء عن هذا المكان، ولكننا نستطيع أن نقول إن "عدن" هي السعادة، أو "المتعة"، من أجل هذا لعلك تستطيع أن تعطى صورة للفردوس في عقلك حيث النور الإلهي، والسعادة الروحية.

📖 فإنك لو تخيلت مكاناً على الأرض يعيش فيه القديسون، متألقين بنور فضائلهم، ويتمتعون بنعمة الله، ويعيشون في حياة هادئة بالحق، والعدل، والسعادة، فهذا المكان لن يكون بعيداً عن الصورة المنطقية للفردوس.



📖 ٣ـ السعادة الحقيقية:

📖 ولكن ما هي هذه السعادة التي نقصدها؟

📖 أهي الأطعمة التي تدخل الفم، وتصل إلى المعدة، وتخرج وتنتهي؟

📖 أهذه العطية وهبت لجنس البشر بإحسانات الله، لكي تكون هناك معدة ممتلئة، وجسم ممتلئ صحة، وشهوات وقتية؟

📖 أهذا هو ما لا نستطيع أن نعبر عنه بالكلمات؟

📖 هل السعادة الحقيقية هي أن نتكبر بقسوة، ونطلب أن نسّمن أجسادنا، ونغرق نفوسنا في ارتكاب الخطايا والشهوات؟

📖 لابد أن نعرف أن هذه كلها، هي بعيدة تماما عن السعادة، وبعيدة

عن المعنى الذي من أجلها خلقها الله. إذن ما هو نوع هذه السعادة التي تتفق مع الفضيلة والقداسة، ومع قصد الخالق العظيم؟

🕮 في الفردوس تجد هناك الجموع الكثيرة من الملائكة الأطهار القديسين، وهناك الأساس المتين لكل الفضائل الروحية.

🕮 هناك التسبيح الدائم، وثماره النقاوة، والطهارة، وهناك نهر ماء الحياة، نهر الله، الذي من عرشه تنبع المياه التي تبهج مدينة الله، التي صنعت وشيدت بالله "نهرا صافياً من ماء حياة، لامعا كبلور، خارجاً من عرش الله والخروف" {رؤ ٢٢: ١}.

🕮 هذا النهر هو الذي ينبع من عدن {السعادة الحقيقية} ويروى الفردوس "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة" {تك ٢: ١٠}،

🕮 هذا هو نهر التمتع الدائم برؤيا الله، والشبع الكامل بالتأمل في مجد المسيح وجماله، وفى سلامنا الدائم من أجل تواجدنا في حضرته.

🕮 هذه كلها أرشدت القديسين، ولابد لكل المؤمنين أن يقوموا بتداريب روحية صارمة، حتى يصلوا إلى حياة الكمال، هذه التي أرادها الله لكل سكان الفردوس.

🕮 عندما تفكر في هذا، ستشكر الله صانعها، الذي خلق كل هذا لأجل سرورك، وبذل كل جهد حتى يجعلك مستحقا لها.

🕮 وعندما تتجه إليه، حينئذ سيستنير عقلك، وستفهم أساس خلقتنا، ومصير آخرتنا، له المجد إلى الأبد أمين.

كتاب الطريق الى الفردوس ـ القديس باسيليوس الكبير ـ المقالة الأولي ـ صفحة ٥ ـ ٩

{١١}

القديس أوغسطينوس

الفصل السابع عشر: في السعادة الأبدية

📖 **الحياة الأبدية مشاهدة:**

📖 هذا ما قاله المسيح ذاته: "إن الحياة الأبدية هي: أن يعرفوك أنت الإله الواحد الحقيقي، والذي أرسلته يسوع المسيح" يوحنا١٧:٣.

📖 الحياة الأبدية هي: أن يعرفوا، ويشاهدوا، ويدركوا، ما آمنوا به، وينالوا ما لم يكن بوسعهم أن يدركوه. حينذاك يري العقل ما لم تره العين، ولم تسمعه الأذن، وما لم يخطر على قلب بشر.

📖 ثم يسمعون الكلام القائل: "تعالوا يا مباركي أبي خذوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم" متى٢٥:٣٤. سوف نري الله. وذاك شيء عظيم يصبح، كل ما سواه، تافهاً، ولا قيمة له البتة.

📖 أنا لنعتبر أنفسنا ها هنا سعداء إذا كنا نعيش بسلام، برغم أن الحصول عليه في هذه الحياة أمر صعب. أما إذا قارنا بين سعادتنا هذه وتلك السعادة العتيدة، كانت هذه بالنسبة إلى المقبلة بؤساً وشقاء.

📖 وبالتالي ماذا يكون عمل الإنسان هناك؟ ما لا يُعمل، أسهل عليّ قوله ممّا يُعمل.

📖 **وأقول إن استطعت وبقدر ما أستطيع:**

📖 الفرح في بيت الله أبدي. وفيه عيد لنا لا ينقضي، بل إلى الأبد مع طغمه الملائكة، في رؤية الله، وسرور لا يزول.

📖 وعيد الإنسان هذا هو من الأعياد التي لا بداية لها ولا نهاية.

📖 إذا ابتعد الإنسان عن ضوضاء العالم، تناهي إليه من ذاك العيد الأبدي، نغم عذب وشجي.

📖 هناك لا لزوم للفطنة، إذ لا شرّ يتحاشاه الإنسان.

📖 ولا عدل، حيث لا بؤس يجب تخفيفه.

📖 ولا اعتدال، حيث لا شهوة يُكبح لها جماح.

📖 ولا قدرة حيث لا ألأم يحتمل.

📖 جميلة هي أعمال الرحمة، وجديرة بكل تقدير {وفرصة عملها على الأرض فقط}، ولكن، لا فائدة منها {في السماء}، حيث لا يفرضها شقاء

ملحاح. ومن الذي تطعمه، وليس من يجوع؟
📖 ومن الذي تسقيه، وليس من يعطش؟

📖 وأني لك أن تكسو العريان، وكل الناس يلبسون عدم الموت؟
📖 وأني لك أن تأوي غريباً، وكل الناس في أوطانهم؟
📖 وأني لك أن تعول المرضي، والكل يتمتعون بقوة الطهارة عينها.
📖 وأني لك أن تدفن الموتى، وكل الناس أحياء؟
📖 وأني لك أن تصالح المتخاصمين، وكل الناس مسالمون؟
📖 وأني لك أن تواسي المحزونين، وكل الناس في فرح إلى الأبد؟
📖 وطال ما أن جميع أنواع البؤس تنتهي، فإن أعمال الرحمة تنتهي معها. هناك تكون سعيداً، لا تحتاج شيئاً، ولا تطلب شيئاً. وغناك الوافر سيكون الله ذاته. عن أي شيء كنت تبحث يا بخيل؟
📖 وماذا تطلب من الله إن كنت لا تكتفي بالله؟
📖 هناك لا انزعاج، ولا شواذ، ولا مقاومة، ولا ما يخدش النظر، بل الكل يسبحون الله في سلام تام. ستكون سعيداً لأنك لن تحتاج إلى شيء. ستكون مليئاً، ولكن، من إلهك.

📖 **سيكون لك هناك كل ما تتوق إليه ها هنا:**
📖 ها هنا تطلب قوتاً، وهناك يكون الله قوتاً لك.
📖 ها هنا تتوق إلى عناق الجسد، وهناك: "وأنا فحسن لي القرب من الله" {مزمور٢٨/٧٢}. *ها هنا تطلب الثروات أما هناك فهل ينقصك شيء وقد صار لك صانع كل شيء؟
📖 ولكنك تقول: ماذا أعمل؟ يبدو أن لأعمل لك: لا النظر، ولا الحب، ولا التسبيح.

📖 إن الأيام المقدسة التي تتلو قيامة الرب، تعني حياتنا ما بعد القيامة.
📖 وكما أن الأربعين يوماً السابقة لعيد الفصح، تعني حياة الجهاد في

امتحان الموت، هكذا فإن الأيام التالية للفصح فلا وجود لها الآن. ولكننا نرجوها، وبالرجاء نحبها، ونسبح الله بهذا الحب عينه وقد وعدنا بها: تلك هي تسابيح الليلويا.

📖 الليلويا لفظة عبرية معناها: سبحوا الرب.

📖 فلتتجاوب أصداء الليلويا، وليحث بعضنا بعضاً على تسبيح الله بقلوب متآلفة، أفضل من أن نسبحه على أنغام قيثارة الليلويا.

📖 في أناشيدنا نتوقف بسبب ضعفنا لكي نرح أجسادنا. وهل نتوقف ألاّ لكي نريح أجسادنا؟ ذاك ضعف في الجسد: في الحياة ضيق كثير، وأيا كانت عظمة ما فيها فلابد من أن نأنف منه.

📖 هب إنهم طلبوا منا أن ننشد الليلويا بلا انقطاع، لاعتذرنا لأننا نمل ونتعب حتى من الإنشاد بالذات، وإن كان الإنشاد شيئاً مستحباً.

📖 قفوا وسبحوا الرب أيها الواقفون في بيت الرب وفي ديار بيت إلهنا. ولم نبحث عما سوف نعمل هناك؟ "طوبي لسكان بيتك فإنهم يسبحونك رب، إلى جيل الأجيال" {مزمور٨٣:٣}.

عواطف وصلوات

📖 ما أسعد نشيد الليلويا في السماوات:

📖 حيث طغمات الملائكة تؤلف لك هيكلاً.

📖 حيثما تآلفت أصوات المسبحين، وقلوبهم استمرت غبطة المرنمين وطمأنينتهم. إذ ذاك لا تناقض بين سنه الجسد وسنة الروح.

📖 هنالك لا نزاع، ولا شهوه يعّرض نصر المحبة للهلاك.

📖 ها هنا أنشد الليلويا قلقاً مضطرباً، حتى أنشدها بسلام في الأعالي السماوية. ولمَ أنشدها في هذه الأرض؟

📖 ألا تريدني أن أكون حذراً أثناء قراءتي: "اليس جهاد للإنسان على الأرض، وكأيام الأجير أيامه {اي ٧: ١}".

📖 ألا تريدني أن أكون حذراً حين يقولون لي: "اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربه؟" {متى١٤/٣٨}.
📖 إلا تريدني حذراً في التجربة، فتأمرني بأن أقول في صلاتي: "أغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن خطئ إلينا؟"

📖 **كل يوم أُطَالب، وكل يوم تراني مديناً:**
📖 أتريدني أن أكون مطمئناً، وأنا أسأل كل يوم الرحمة لخطاياي، والمساعدة في المخاطر؟ وحين أقول عن خطاياي الماضية: أغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن خطئ إلينا، أضيف دائماً بشأن المخاطر المقبلة قائلاً: ولا تدخلنا في التجربة.
📖 وأني لي أن أكون على خير حين أهتف نجنا من الشرير.
📖 ومع ذلك فأني أرغب أن أنشد الليلويا في حالتي تلك السيئة، لأنك خيري الذي ينجيني من الشرير.
كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ الكتاب السابع ـ صفحة ٤٣٨ ـ ٤٤١

{١٢}
القديس مكسيموس المعترف

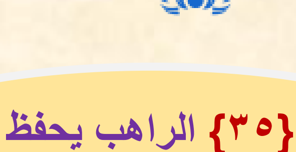
📖 **٩٣ـ** الموت في الوعي الحقيقي هو انفصال عن الله، و «شوكة الموت هي الخطية» {ق.م. ١كو ١٥: ٥٦}. آدم، الذي أخذ الشوكة، أصبح في نفس الوقت منفياً من شجرة الحياة، من الفردوس ومن الله {ق.م. تك ٣}، وهذا كان من الضروري أن يتبع بموت الجسد.
📖 الحياة، في الوعي الحقيقي هي من قال: "أنا هو الحياة" {يو ١١: ٢٥}، ومن بدخوله الموت، قد أعاد للحياة من مات.
الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثانية ـ صفحة ٧٩

📖 **٦٨ـ** العصور، الأزمنة، والأماكن، تنتمي إلى فئة القرابة، وبالتالي لا يوجد شيء يشترك بالضرورة مع هذه الأشياء، يمكن أن يكون

شيء آخر سوى قريب. ولكن الله يتجاوز فئة القرابة، لأنه لا يوجد شيء آخر مهما كان يشترك بالضرورة معه.

📖 بناء عليه فإن ميراث القديسين هو الله نفسه، فمن وجد مستحقاً لهذه النعمة، سوف يكون فوق كر عصور، وأزمنة، وأماكن، سوف يكون له الله نفسه كمكان له، وبالمقارنة مع النص: "كن لي يا الله المدافع، والمكان الحصين الذي لخلاصي" {مز ٧١: ٣ س}.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٤











{٣٥} الراهب يحفظ أعماله، ويتكل علي نعمة الله

{١} مار إسحق السرياني	{٢} الأنبا إشعياء الإسقيطي	{٣} القديس يوحنا الدرجي
{٤} القديس يوحنا كاسيان	{٥} قديسون أخرون	

{١}

مار إسحق السرياني

📖 كما أنه لا يمكن للإنسان أن يضبط النار المنظورة ويستعملها بالفعل من دون الأجسام التي هي أنواع الوقود، هكذا أيضاً من دون العمل المحسوس بالجسد لا يمكن أن يؤهل الإنسان لنار النعمة الإلهية في قلبه ولا أن يقتني حرارة وقود الحب ومعرفة الله، فإن كنا نهتم بطهارة الضمير ولكننا نبطل الجسد من عمل فلاحة الفضيلة والاهتمام بها، فإن شوكاً وقرطباً ينبتان في حقل ضميرنا عوض الزرع الجيد، لأنه بالنار تُنظف الأرض وبحرارة الأعمال ينقى القلب ويقبل الزرع الطاهر الروحاني، والأعمال التي لأجل الله هي أواني القدس التي توجد فيها النياحة الإلهية، وبها تُقبل النعم

الروحانية والمواهب المقدسة والقوات السماوية.

فإن كان لم يزدرِ بالأمور الجسدانية فإنه ما اقتنى الوداعة بعدُ، لأن محقرة النفس بتمييز يتبعها ألا يرتبط الإنسان بشيء وأن يرفض الراحة والاشتياق إلى الناس، فإن استعد إنسان لقبول الخسارة بفرح من أجل الله، فهو نقيٌّ من الداخل، وإن لم يزدرِ بأحدٍ من أجل العيوب الموجودة فيه، فهو حرٌّ بالحقيقة، وإن لم يُسرّ بمن يكرِّمه ولم يعبِّس وجهه قدام من يهينه، فإنه قد مات حقاً للعالم، فالتحفظ بتمييز هو أفضل من كل تدبير وسيرة تتم بكل نوع وكيفية وبكل مقدار ممكن لدى الناس.

[٢١] اِحتَرِسْ أيضاً من إيعاز إبليس، الذي في الوقت الذي ينبغي لكَ فيه أن تنتظر الخيرات المزمعة، يُعلِّمك الحَماقات، ويُشير إلى العقبات التي تعتَرض طريق المعرفة القويمة، ويضع أمامك أموراً أخرى غريبة تَماماً عن حكمة العناية الإلَهية.

ميامر مار اسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الرابعة - صفحة ٧٠٠



قال مار إسحق:

"من اقتني الفضائل العظيمة، مثل: الصوم، والسهر، ولكنه لم يقتني حراسة القلب، واللسان، فإنه في الباطل يتعب، ويعمل".

"إذا وضعت كل أعمال التوبة في ناحية، والحفظ في ناحية أخري، فإن الحفظ يرجح. فإن المسيح وضع قياس الوصايا على أصل الأفكار القلبية، وموسى على الأعمال المحسوسة".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٩٢



قال مار إسحق: "ليكن معلوما عندك: أن كل خير لن يكون مقبولاً، إلا إذا عُمل في الخفاء".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٢٩



{٢}
الأنبا إشعياء الإسقيطي

🕮 كالبيت الذي ليس لـه بـاب أو نوافذ فتدخلـه الزواحـف متـى تشـاء، هكذا الذي يعمل وما يصون أعماله.

🕮 طوبى للذين لا يتكلون على أعمالهم كأنَها ترضي اللـه، طوبى لمن يخشون ملاقاة اللـه ... لقد عرفوا ضعفهم، ولزموا الحزن والبكاء على نفوسهم، وعدموا الانشغال بالحكم على خليقة اللـه، تلك التي سوف يدينها اللـه بنفسه.

🕮 الويل لمن يضيعون زمانَهم وهم يظنون أنَهم بغير خطية، يدوسون ضمائرهم ويرفضون تبكيتها لهم، غير عالمين أنه ليس بالأمر الهين أن ينخدع الإنسان لشيء مهما كان تافهاً، فكما أن الزارع يعتبر كل البذور التي بذرها باطلة ما لم يكمل نضجها، ويغتم على تعبه لأنه لم يعطِ ثمراً، هكذا الإنسان إذا كان يعلم كل الأسرار وكل علم أو يصنع قوات أو أشفيه كثيرة أو يحتمل إماتات عديدة ويتجرد حتى من ملابسه، فهو ما يزال تحت سلطان الخوف ولا يمكنه أن يثق في قلبه لأن أعدائه مازالوا يلاحقونه وينصبون له الفخاخ.

🕮 كان آباؤنا الشيوخ يقولون: إن النسك هو الاعتكاف وتأمل المـوت، لكنه من الخطر أن يُترك أحد لينفرد وحده ما لم تكن له أعمال {جهاد} مقابل الخطايا التـي تحـيط بنفسـه، وتوبـة قلبيـة عمـا فعلـه فـي زمـان توانيه، وكذلك يؤمن أن اللـه قد غفـر لـه خطايـاه، كمـا يقـول لعـدوه: إنني لا أتكل على شيء من أتعابي، وإلى أن أقف أمام كرسي القضاء لا أدعي البر، كما وأزدري بمن يهدمون كل بنيان الـنفس، إن توافـق

القلب معهم.

قيل في الإنجيل: " كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وصنعنا قوات كثيرة " فحينئذٍ يقول لهم: " أني لم أعرفكم قط " ذلك لأنَهم يباشرون عمل النسك لكنهم لا يحفظونه.

كالبيت الذي ليس له باب يغلق، وكل من أراد يدخل إليه، هكذا هو الذي يصنع عمله وما يحفظه.

السقالة والبناء:

لا يشغلنك التفكير في الأداء الباهر لأعمال النسك الخارجي، فهذه الأعمال رغم أهميتها لا تعدو أن تكون مجرد سقالات تحيط بمبنى يتم تشييده. إنها ليست المبني لأن المبنى هو داخل القلب.

وجه إذن كل اِهتمامك إلى ما يتم داخل القلب.

إن أول تجربة تهاجمك عن طريق الفكر، هي الرضى عن الذات، أو البر الذاتي، وبعد ذلك يأتي الإعجاب الداخلي بالذات، ثم التفاخر والتباهي أمام الآخرين، لذا ينبغي أن تتفهم طبيعة هذه التجارب.

اقرأ وتمعن في أقوال القديس مكاريوس الكبير، واهتم بالذات بكتاب السلم للقديس يوحنا الدرجي، الذي تعرض في مواقع كثيرة منه لموضوع التمييز بين الأفكار.

إن عملا واحد بعينه قد يرضي الرب وقد يثير غضبه، وذلك بحسب الأفكار التي تصحب هذا العمل.

القديس ثؤفان الناسك - كتاب فن الصلاة - صفحة ٢٦٣



{٣}

القديس يوحنا السلمي

قد تؤول راحة الجسد أحيانا إلى أذكاء قوة العقل، ولا توقد نار

الشهوة فينا، بينما إرهاق الجسد أحيانا يحركه علينا، وذلك لئلا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يميت بصورة خفية، الشهوة الحية فينا.

{٤}

القديس يوحنا كاسيان

حماية الله ـ للأب شيريمون

📖 بعد فترة قصيرة من النوم عدنا إلى خدمة الصباح، وكنا ننتظر الرجل الشيخ، وكان يبدو على الأب جرمانيوس حيرة عظيمة، لأن المناظرة السابقة حملت قوة توحي إلينا بشوق عظيم نحو تلك الطهارة، التي لم تكن معروفة لنا بعد.

📖 وقد أضاف الشيخ الطوباوي عبارة فريدة نزع فيها كل دعوانا من جهة جهاد الإنسان الذاتي، مضيفا أنه وإن جاهد الإنسان بكل طاقته من أجل الثمرة الصالحة، لكنه لا يقدر أن يسيطر على ما هو صالح، ما لم يطلبه ببساطة من جود الله وكرمه، وليس بجهاده الذاتي.

📖 وإذ كنا متحيرين من جهة هذا الأمر، إذ الطوباوي شيريمون يصل إلى القلاية، فرآنا نتهامس معاً، فقلل من خدمة الصلاة والمزامير شيئا يسيراً عن المعتاد، وسألنا عن الأمر.

📖 **٢ـ سؤال: لماذا لا ننسب الطهارة إلى جهاد الإنسان؟**

📖 **جرمانيوس**: إذ نحن صامتون من جهة عظمة تلك الفضيلة، التي وصفتها لنا الليلة الماضية، مؤمنين بفاعليتها، لكني أستسمحك القول، بأنه يبدو لي أنه من العبث أن نقول عن الطهارة الكاملة، التي تُقتنى بغيرة الإنسان المجاهد كمكافأة للجهاد، أنها لا تنسب رئيسيا إلى جهاده.

📖 لأنه من الغباوة أن نرى مثلا مزارعا يحتمل آلاما كثيرة في زراعة أرضه، ولا ننسب الثمار إلى جهاده!

📖 **٣- شيريمون:**

📖 يمكننا بنفس المثال الذي قدمته أن نبرهن بالأكثر، أن جهود الإنسان العامل لا تفيد شيئا بغير معونة اللـه.

📖 لأن الزارع حين يحتمل أتعابا كثيرة في زراعة الأرض، لا يقدر أن ينسب كثرة المحصول ووفرة الثمار إلى مجهوده الذاتي.

📖 فقد يضيع كل تعبه هباء لو لم تأته الأمطار، أو يساعده الجو.

📖 وقد نرى الثمار ناضجة فعلا، بل ويحصدها الفلاح ويجنيها، ومع هذا فإن مجهود العاملين يمكن أن يكون بلا نفع، ما لم تسنده عناية اللـه. كذلك الصلاح الإلهي، لا يأتي بالإنتاج الوفير للمزارعين الكسالى الذين لا يحرثون حقولهم على الدوام، كما أنهم قد يتعبون الليل كله بلا جدوى، ما لم تُنجح مراحم الرب أعمالهم.

📖 لكن كبرياء البشرية يجعلها ترفض أن تضع نعمة اللـه مع جهادها على قدم المساواة، ولا أن يختلطا معاً، إنما تظن أنه بمجهودها الذاتي تنال جود اللـه وكرمه، أو أن الثمار هي ثمرة جهادها وحده.

📖 ليتأمل الإنسان جيدا وليتفحص بعناية فائقة، وازنا هذه الحقيقة كما ينبغي، وهي أنه لا يقدر الإنسان حتى أن يستخدم نفس تلك الجهود التي له بغيرة، ما لم يمده الحنو الإلهي بالوسائل لأجل تتميمها.
فقد يفشل الإنسان بسبب كثرة المطر الزائد، أو لانعدامه.

📖 فعندما يهب الرب للثور نشاطا، وقوة جسدية للعمل، ونجاحا في مشروعه، يجدر بالإنسان أن يصلي لئلا يسقط عليه ما قيل في الكتاب المقدس: "وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسا، والأرض التي تحتك حديداً". "وفضلة القمص أكلها الزحاف، وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء، وفضلة الغوغاء أكلها الطيار {القمص هو الجراد في أول

خروجه من البيضة، وبعدما يبدأ يزحف يسمى الزحاف، وبعدما ينبت له أجنحة يسمى الغوغاء، وإذ يصير في كامل نضجه يسمى الطيار}" {يؤ١:٤}.

📖 ولا يحتاج المزارع إلى عناية الله لتعينه في مجهوداته أثناء عمله فحسب، بل وأيضا لكي يتفادى الكوارث غير المنظورة، التي يمكن أن تحل به، والتي أحيانا تصيب الحقل، وهو غني بالمحصول المتوقع. بل وأحيانا يفقد ما قد جمعه فعلا وخزنه في البيدر للدرس أو في المخزن.

📖 من هذا نخلص بوضوح إلى أن البداية لا تتأتى من جهة أعمالنا نحن، بل حتى أفكارنا الصالحة تأتي من الله، الذي يوحي إلينا بإرادة صالحة، نبدأ بها العمل، ويمدنا بفرص لتنفيذ هذه الإرادة الصالحة "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة، من عند أبي الأنوار" {يع١:١٧}.

📖 إنه يبدأ معنا بما هو صالح، ويستمر معنا فيه، ويكمله معنا، وذلك كقول الرسول: "والذي يقدم بذارا للزارع، وخبزا للآكل، سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلات بركم" {٢كو٩:١٠}.

📖 هذا كله من أجلنا نحن، لكن باتضاع نتبع يوما فيوما نعمة الله التي تجذبنا، أما إذا قاومنا نعمته برقبة غليظة، وآذان غير مختونة {أع٧:٥١}، فإننا نستحق كلمات النبي ارميا القائل: "هل يسقطون ولا يقومون؟! أو يرتد أحد ولا يرجع؟! فلماذا ارتد هذا الشعب في أورشليم ارتدادا دائما. تمسكوا بالمكر. أبوا أن يرجعوا؟!" {إر٨:٤،٥}.

📖 ٤- اعتراض - جرمانيوس:

📖 إننا نرى الكثير من الوثنيين الذين لم يوهب لهم نعمة الله، سامين لا في فضائل التدبير، والصبر فحسب، بل {وبصورة واضحة} في الطهارة.

📖 فكيف يمكننا أن نحسب أن حرية إرادتهم قد أسرت، وأن فضائلهم

وهبت لهم بواسطة نعمة اللـه، خاصـة وأنهم يتبعون حكمـة العـالم، وينكرون نعمة اللـه، بل وينكرون وجود اللـه ذاته؟

📖 فهم ليسوا مثلنا نحن الـذين خـلال القـراءة، وعـن طريـق الآخـرين، عرفنا نعمة اللـه، أما هم فيقولون إنهم ينالون طهارتهم الفائقة السمو، بجهادهم وتعبهم الزائد؟

📖 ٥- شيريمون:

📖 إنني مسرور لأنك قد التهبت بالشوق العظيم لمعرفة الحق، إلا أنـك تقدم بعض الـنقط، وبإثارتـك لهـذه الاعتراضـات تؤكـد بـالأكثر سـمو إيمان الكنيسة الجامعة ... فبالتأكيد أنت تقدم هذه الاعتراضات رغبـة في معرفة الحق، لذلك فلتأخذ في اعتبارك هذه الأمور:

📖 يلزمنا أولاً ألا نفكر بأن الفلاسفة قد نالوا طهارة النفس، كتلـك التـي ننالها نحن، والتي لا تتوقف عند مجرد عدم الزنا، إنما لا يدعى بينـنـا شيء دنس فقط.

📖 إنما هم لديهم نوع خاص من الطهارة، بمعنـى ضـبط الجسد، الـذي به يقمعون شهواتهم لكيلا ينفذوا اتصالا جسديا.

📖 لكنهم لا ينالون طهارة الذهن الداخلية، ونقاوة الجسد الدائمة، لا من جهة العمل، إنما أيضا من جهة الفكر.

📖 أخيراً فإن سقراط – الذي يعتبرونه – أشهر جميع الفلاسفة يعتـرف عن نفسه بهذا. إنهم لا يعرفـون فضـيلة الطـهارة التـي نبتغيهـا نحـن، لـذلك فـإن ختاننـا الروحـي، لا يمكـن أن يطلـب إلا بنعمـة اللـــه، ولا يخص إلا الذين يخدمون اللـه بقلب منسحق.

📖 ٦- لا يمكننا الجهاد بغير نعمة اللـه:

📖 إن كان في أمور كثيرة، بل بـالحق فـي كـل شـيء يظهـر أن البشـر على الدوام محتاجون إلـى معونـة اللـــه، وإن كـان الضـعف البشـري

يعجز عن أن يتمم شيئا لخلاصه بذاته وحده، بغير مساعدة اللـه، فإنه يكون ذلك بالأكثر بالنسبة لنوالنا الطهارة والمحافظة عليها.

📖 إن كـان الحـديث عـن صـعوبة الطـهـارة قـد طـال كثيـرا، فلنناقش باختصار أدواتها.

📖 إنني أسأل: أي إنسـان مهمـا بلغت حرارتـه فـي الـروح، هـل يقـدر بقوتـه الذاتيـة أن يحتمـل قسـوة البريـة، لا أقـول يحتمـل نقصـا فـي الضروريات اليومية، بل في مؤونة الخبز الجاف؟

📖 من يستطيع بغير تعزية اللـه أن يحتمل الظمأ الدائم، أو يحرم عينيه من نوم الصباح اللذيذ، لتصبح كـل أوقـات راحتـه ونومـه فـي حـدود أربع ساعات؟! من يشعر بالاكتفاء والشبع خلال مثابرته عل القراءة، والسهر الدائم في العمل، وعدم اهتمامه بـالربح الزمنـي مـا لـم تعينـه نعمة اللـه؟! إذ لا نقدر أن نشـتاق إلـى مثـل هـذه الأمـور بغيـر وحـي إلهي، فإننا نعجز بأي وسيلة أن ننفذها بغير معونة اللـه.

📖 وإذ نتأكد من هـذا الأمـر لـيس بحسـب مـا تمليـه علينـا خبرتنـا، بـل وتؤكده الأدلة والبراهين الثابتة، ففي أمور كثيرة لا نشعر بالضـعف، ولا تنقصـنـا المهـارة الكاملـة، ولا تنقصـنـا الإرادة، ومـع هـذا مـا لـم يوهب لنا بمراحم الرب قوة التنفيذ، ننحرف بعيدا عن هدفنا.

📖 ليس في طاقتنا أن ننال سكون العزلة، ونمارس الأصـوام الصـعبة، والدراسة المسهبة حتى عندما توجد الفرص المناسبة.

📖 غير أنه كثيرا ما تحدث حوادث غالبـا مـا تكـون ضـد إرادتنـا علـى طول الخط، مما يجعلنا نعجز عن تنفيذ قوانيننا التي نحترمها.

📖 لهذا نحن نصلي إلـى الـرب لكـي يهيـئ لنـا المكـان والوقـت، حتـى نمارس قوانيننا، ولا يكفـي هـذا، مـا لـم يهبنـا اللـه فرصـة لتنفيذ مـا يمكننا صنعه، وذلك كقول الرسول أيضـا: "لذلك أردنا أن نـأتي إلـيكم

أنا بولس مرة ومرتين. وإنما عاقنا الشيطان" {١تس٢:١٨}.

🕮 أحيانا يكون من المفيد لنا أن نحرم من التداريب الروحية، حتى أننا بغير رضانا نكسر القوانين المعتادة خاضعين لضعف الجسد، وبهذا فإننا بغير إرادتنا نتعلم صبرا نافعا.

🕮 ٧- غاية اللـه منا وعنايته بنا

🕮 لأن غاية اللـه من خلقته لا أن يهلك الإنسان، بل يحيا إلى الأبد، وهذه الغاية لا تزال كما هي، وإذ يرى أن يشع فينا صلاحه، ولو بشرارة خفيفة من الإرادة الصالحة، فإنه يضرمها كما لو كانت خارجة من الحجر الصوان الصلد الذي لقلوبنا.

🕮 إنه يثيرها، ويتعهدها، ويقويها بنسمته "الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" {١تي٢:٤}.

🕮 لأنه "هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السماوات، أن يهلك أحد هؤلاء الصغار" {مت١٨:١٤}.

🕮 اللـه صادق ولا يكذب، إذ يقسم قائلا: "حي أنا يقول السيد الرب أني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة. فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل؟!" {حز٣٣:١١}.

🕮 إنه لا يريد أن يهلك أحد أصاغره، فكيف لا نكون مجدفين إن كنا نتصور أنه لا يريد كل البشر أن يخلصوا، بل بعضهم؟!

🕮 فالذين يهلكون إنما يهلكون بغير إرادته، وهو يشهد ضد كل واحد منهم يوما فيوما قائلا: "ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة، فلماذا تموتون" {حز٣٣:١١}.

🕮 وأيضا: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" {مت٢٣:٣٧}. "فلماذا ارتد هذا الشعب في

أورشليم ارتدادا دائما. تمسكوا بالمكر. أبوا أن يرجعوا" {إر٨:٥}.

📖 إذن نعمة المسيح حاضرة بين أيدينا في كل يوم، وإذ هي تريد أن "جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون".

📖 تدعو الجميع بغير استثناء قائلة: "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" {مت١١:٢٨}.

📖 فلو لم يدعو الجميع بل البعض فقط، لكانت النتيجة أن يكون الكل مثقلا بالخطايا الأصلية {الجدية}، والخطايا الفعلية، وإلا صار القول التالي غير صادق: "إذ الجميع أخطئوا وأعوزهم مجد الله" {رو٣:٢٣}.

وما كنا نصدق أن الموت قد عبر إلى جميع الناس {رو٥:١٢}.

📖 وإذ الهالكون يهلكون بغير إرادة الله، لهذا يمكننا أن نقول بأن الله ليس بصانع الموت، وذلك كشهادة الكتاب المقدس القائل: "إذا ليس الموت من صنع الله، ولا هلاك الأحياء يسره" {حك١:١٣}.

📖 عناية الله في عدم استجابة بعض طلباتنا

📖 لما كانت أغلب صلواتنا ترتفع ليس لأجل صالحنا، بل نسأل العكس، لهذا تتأخر الاستجابة، وأحيانا ترفض طلباتنا.

📖 كذلك يهبنا الرب – كطبيب غاية في الحنو – أن يجلب لنا بغير إرادتنا ما هو لصالحنا، ونحن نظنه عكس هذا.

📖 وأحيانا يعوق اشتياقاتنا المؤذية، ومحاولاتنا المميتة، وبينما نندفع تجاه الموت يردنا إلى الخلاص، وينقذنا بغير معرفتنا من مخالب الجحيم.

📖 ٨- الله المحب والإنسان قاسي القلب!

📖 وصفت الكلمة الإلهية اهتمام الله وعنايته بنا على لسان هوشع النبي تحت رمز أورشليم كزانية، التي انحرفت في غيرة مملوءة

جحودا، عندما قالت: "أذهب وراء مُحبيَّ، الذين يعطون خبزي ومائي، صوفي وكتاني، زيتي وأشربتي".

🕮 فتجيبها التعزية الإلهية، لا لأجل تحقيق شهواتها، إنما رغبة في خلاصها فتقول: "لذلك هاأنذا أسيج طريقك بالشوك، وأبني حائطها حتى لا تجد مسالكها. فتتبع محبيها ولا تدركهم، وتفتش عليهم ولا تجدهم. فتقول أذهب وأرجع إلى رجلي الأول، لأنه حينئذ كان خير لي من الآن" {هو٢:٥-٧}.

🕮 وقد وصف عنادنا واستهتارنا، إذ نزدري به بروح متمردة عندما يحثنا إلى الرجوع المفيد – وذلك في المقارنة التالية: يقول الله: "قلت تدعينني يا أبي، ومن ورائي لا ترجعين، حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها، هكذا خنتموني" {إر٣:١٩،٢٠}.

🕮 فهو يقارن أورشليم {النفس البشرية} بامرأة زانية تطلب رجلا، ويقارن محبته لنا برجل يموت في محبة عروسه.

🕮 فصلاح الله ومحبته التي يعلنها على الدوام لكل البشر، لا تغلب إلا بكفنا عن الاهتمام بخلاصنا، وهروبنا من اهتمام الله بنا، كما لو أنها قهرت بشرورنا. لذلك فإنها لا تقارن إلا برجل محترق بنيران الحب من أجل امرأته، إذ يذوب من أجل محبته لها، قدر ما يراها تستخف مستهينه به. إذن الحماية الإلهية حالة معنا على الدوام بغير انفصال.

🕮 عظيم هو حنو الخالق تجاه خليقته، الذي لا يرافقها حنوه فحسب، بل ويتقدمها! عندما يرى فينا طيفا خفيفا من بداية الإرادة الصالحة، للحال يلهبه ويقويه، ويتعهده لأجل خلاصنا، فينمي ما غرسه فينا، أو ما يراه قد نشأ عن جهادنا، إذ يقول: "قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع" {إش٦٥:٢٤}.

🕮 وأيضا "يتراءف عليك عند صوت صراخك" {إش٣٠:١٩}.

🕮 وفي صلاحه لا يلهمنا بالرغبات المقدسة فحسب، وإنما يخلق لنا

فرصا للحياة، وللنتائج الصالحة، ويكشف اتجاه طريق الخلاص للذين ضلوا.

🕮 ٩- بين إرادتنا الصالحة ونعمة الله:

🕮 لا يستطيع العقل البشري أن يدرك بسهولة، كيف يعطي الرب الذين يسألونه، وكيف يُوجد للذين يطلبون منه، ويفتح للقارعين، بينما من الجانب الآخر يعطي من لم يسألوه، ويبسط يديه لغير المؤمنين، والمجدفين، مناديا ومقدما الدعوة للذين يقاومونه، والمبتعدين عنه، جاذبا البشر نحو خلاصهم، حاملا الذين يرغبون في الخطية إلى ما هو على خلاف رغبته، إذ بصلاحه يقف في طريق المندفعين نحو الشر.

🕮 من يقدر بسهولة أن يرى كيف أن تمام خلاصنا يتم بإرادتنا، إذ قيل: "إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض. وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم" {إش١:١٩،٢٠}.

🕮 وفي نفس الوقت "ليس لمن يشاء، ولا لمن يسعى، بل لله الذي يرحم" {رو٩:١٦}؟! كيف يكون هذا أن الله "سيجازي كل واحد حسب أعماله" {رو٣:٦}.

🕮 وفي نفس الوقت "لأن الله العامل فيكم أن تريدوا، وأن تعملوا من أجل مسرته" {في٢:١٣}. و"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" {أف٢:٨،٩}؟!

🕮 ما هذا أيضا، إذ قيل: "اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة، وطهروا قلوبكم يا ذوي الرأيين" {يع٤:٨}.

🕮 وفي موضع آخر يقول: "لا يقدر أحد أن يُقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" {يو٦:٤٤}؟

ما هذا الذي نجده "مهد سبيل رجلك فتثبت كل طرقك" {أم٤:٢٦}.

📖 بينما نقول في صلواتنا: "سهل قدامي طريقك" {مز٥:٨}.
و"تمسكت خطواتي بآثارك فما زلت قدماي" {مز١٧:٥}؟

📖 وما هذا الذي يدهشنا إذ يقول: "اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها، واعملوا لأنفسكم قلبا جديدا، وروحا جديدة، فلماذا تموتون؟" {حز١٨:٣١}.

📖 وهو الذي وعدنا بهذا إذ يقول: "وأعطيكم قلبا واحدا، وأجعل في داخلكم روحا جديدا، وأنزع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيهم قلب لحم لكي يسلكوا في فرائضي، ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها" {حز١١:١٩،٢٠}؟!

📖 ما هذا الذي يأمرنا به الرب قائلا: "اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم لكي تخلصي. إلى متى تبيت في وسطك أفكارك الباطلة؟!" {إر٤:١٤}. بينما يسأله النبي قائلا: "قلبا نقيا أخلق فيَّ يا الله اغسلني فأبيض أكثر من الثلج" {مز٥١}؟! ما هذا الذي قيل: "ازرعوا لأنفسكم نور المعرفة" {هو١٠:١٢}.

📖 وقد قيل عن الله: "المعلم الإنسان معرفة" {مز٩٤:١٠}. "الرب يفتح أعين العمي" {مز١٤٦:٨}. أو ما نقوله في صلواتنا بالنبي: " أنر عيني لئلا أنام نوم الموت " {مز١٣:٣}؟!

📖 في هذا كله إعلان عن نعمة الله وحرية الإرادة، حتى متى رغب إنسان في السلوك في طريق الفضيلة، يقف سائلا مساعدة الرب.

📖 فلا يقدر أن يتمتع بالصحة الجيدة بإرادته، وبرغبته يتحرر من الضعف. لكن الأمر الصالح الذي نتوق إليه من جهة الصحة، لا أناله ما لم يهبه الله الذي يمنحنا متعة الحياة ذاتها، ويقدم لنا الصحة المملوءة نشاطا.

📖 من الواضح أنه خلال سمو الطبيعة التي وهبها لنا صلاح الخالق، أحيانا تثور فينا بداية الإرادة الصالحة، والتي لا نقدر أن نحققها عمليا، أو نتممها بغير قيادة الرب.

📖 ويشهد بذلك الرسول القائل: "فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ أي في جسدي شئ صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد" {رو٧:١٨}.

📖 ١٠- بين حرية الإرادة وضعفها:

📖 يسند الكتاب المقدس حرية الإرادة فيقول: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة " {أم٤:٢٣}، ويشير الرسول أيضا إلى ضعفها فيقول: " وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" {في٤:٧}.

📖 يؤكد داود قوة الإرادة الحرة فيقول: "عطفت قلبي لأصنع فرائضك" {مز١١٩:١١٢}، وهو نفسه يعلمنا عن ضعفها بصلاته قائلا: "أمل قلبي إلى شهادتك لا إلى المكسب {الطمع}" {مز١١٩:٣٦}، وسليمان يقول: "ليميل بقلوبنا إليه لكي نسير في جميع طرقه، ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه التي أوصى بها آباءنا" {١مل٨:٥٨}.

📖 ويشير المرتل إلى قوة إرادتنا في قوله: "حد عن الشر واصنع الخير، اطلب السلامة واسع وراءها" {مز٣٤:١٤}، وتشهد صلواتنا عن ضعفها بقولنا: "اجعل يارب حارسا لفمي. احفظ باب شفتي" {مز١٤١:٣}.

📖 تظهر أهمية الإرادة من قول الرب: "انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون" إش٥٢:٢}، ويتغنى النبي بضعفها قائلا: "يطلق الأسرى" {مز١٤٦:٧}، "حللت قيودي. فلك أذبح ذبيحة حمد" {مز١١٦:١٦،١٧}.

📖 إننا نسمع في الإنجيل الرب ينصحنا أن نأتي إليه سريعا بحرية إرادتنا: "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" {مت١١:١٨}، ويشهد الرب نفسه عن ضعفها بقوله: "لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني" {يو٦:٤٤}.

يشير الرسول إلى حرية إرادتنا بالقول: "هكذا اركضوا لكي تنالوا" {١كو٩: ٢٤}، ويشهد يوحنا المعمدان عن ضعفها بقوله: "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطي من السماء" {يو٣: ٢٧}.

لقد أوصانا أن نحفظ نفوسنا بكل عناية، إذ يقول النبي: "احفظوا نفوسكم"، وبنفس الروح يشهد نبي آخر: "إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحارس" {مز١٢٧: ١}.

ويكتب الرسول إلى أهل فيلبي مظهرا لهم حرية إرادتهم "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة "، ويردف مظهرا ضعفها: " لأن الله العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة {مسرته}" {في٢: ١٢: ١٣}.

١١- تلازم النعمة مع الإرادة البشرية:

هكذا فإن مثل هذه الأمور تتشابك معا بلا تمييز ... حتى أن كثيرين ينشغلون بمثل هذه الاستفسارات الصعبة:

هل الله يظهر حنوه لنا لأننا نظهر بداية إرادتنا الصالحة؟

أم أن الإرادة الصالحة تبدأ لأن الله يحنو لينا؟

كثيرون يعتقدون بأحد هذين الرأيين، ويؤكدانه أكثر مما يجب فيسقطون في أخطاء مضادة.

فإن قلنا أن بداية الإرادة الصالحة هي في سلطاتنا، ماذا نقول عن بولس المضطهد؟ وماذا نقول عن متى العشار؟ إذ سُحب أحدهما إلى الخلاص وهو تواق إلى سفك الدم، ومعاقبة البريء، والآخر سُحب وهو محب للعنف والنهب.

وإن قلنا أن بداية إرادتنا، تأتي دائما كنتيجة لوحي النعمة الإلهية، فماذا نقول عن إيمان زكا، وصلاح اللص الذي على الصليب، هذين اللذين بإرادتهما اغتصبا ملكوت السموات، ونالا قيادة خاصة بالدعوة؟



📖 حقاً يبدو أن هاتين الاثنتين: أي نعمة الله، وحرية الإرادة معارضتين لبعضهما، لكن في الحقيقة هما متفقتان معا.

📖 ونحن نستنتج من نظام الصلاح، أنه يلزمنا أن تكون لنا الاثنتان معا متشابهتين، فإن نزعنا إحداهما نكون قد كسرنا نظام قانون الكنيسة. فعندما يشاهدنا الله مائلين نحو الخير، يلتقي بنا ويقودنا ويقوينا ... إذ يقول: "يتراءف عليك عند صوت صراخك، حينما يسمع يستجيب لك" {إش٣٠:١٩}.

📖 "وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني" {مز٥٠:١٥}.

📖 وإذا وجدنا غير راغبين في الخير، أو أننا ننمو في البرود {الروحي}، يثير قلوبنا بنصائح مفيدة، لكيما تتجدد فينا الإرادة الصالحة أو تتكون فينا.

📖 **١٢-** يجدر بنا ألا نتطلع إلى الله أنه خلق الإنسان بلا إرادة، أو أنه عاجز عن الصلاح. فلو كان قد سمح له بالإرادة الشريرة، والقدرة على الشر دون الخير، يكون بذلك قد حرمه من الإرادة الحرة، وعندئذ ماذا تعني العبارة التي نطق بها الرب مباشرة بعد سقوطه: "هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر" {تك٣:٢٢}؟

📖 لأننا لا نقدر أن نظن أنه كان قبلا جاهلا للخير تماما، وإلا بهذا يكون الإنسان مخلوقا غير عاقل كالحيوانات العجم، وهذا القول غريب تماما عن الكنيسة الجامعة.

📖 علاوة على هذا فإن سليمان الحكيم يقول: "الله صنع الإنسان مستقيما" {جا٧:٢٩}، بمعنى أنه على الدوام يتمتع بمعرفة الخير وحده، "أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة" {جا٧:٢٩}.

📖 إذ صارت لهم معرفة الخير والشر كما كان من قبل. لقد صار لآدم بعد السقوط معرفة الشر الذي لم يكن يعرفه قبلا، لكنه لم يفقد معرفته للخير الذي كان يعرفه.

📖 أخيراً تكشف كلمات الرسول بوضوح أن البشرية لم تفقد معرفة الخير بعد سقوط آدم، إذ يقول: "لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبا في قلوبهم، شاهدا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس" {رو٢:١٤-١٦}.

📖 بنفس المعنى ينتهر الرب على لسان النبي غير الطبيعيين، الذين اختاروا بإرادتهم عمى اليهود، وخلال عنادهم جلبوا ذلك على أنفسهم "أيها الصم اسمعوا، أيها العمي انظروا لتبصروا، من هو أعمى إلا عبدي، وأصم كرسولي الذي أرسله؟!" {إش٤٢:١٨،١٩}.

📖 وحتى لا ينسبوا عماهم إلى الطبيعة، وليس إلى إرادتهم يقول: "أخرج الشعب الأعمى وله عيون، والأصم وله آذان" {إش٤٣:٨}، وأيضا "الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون" {إر٥:٢١}.

📖 والرب نفسه يقول في الإنجيل: "لأنهم مبصرين ولا يبصرون، وسامعين ولا يسمعون ولا يفهمون" {مت١٣:١٣}.

📖 بهذا تتحقق نبوة إشعياء النبي القائل: "اسمعوا سمعا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا، غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفي" {إش٦:٩،١٠}.

📖 أخير لكي تدرك أن إمكانية الصلاح كانت موجودة فيهم يوبخ الفريسيين قائلا: "ولماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم؟!" {لو١٢:٥٧}، وهكذا ما كان يقول الرب هذا، لو لم يعلم أنهم بحكمهم الطبيعي قادرون على تمييز ما هو صالح.

📖 لهذا يلزمنا مراعاة عدم إشارة كل استحقاقات القديسين إلى الرب، بطريقة لا ننسب فيها للإنسانية إلا ما هو شر وعناد.

📖 وهذا ما ندحضه بشهادة سليمان الحكيم، بل وبشهادة الرب نفسه. لأنه بعد الانتهاء من بناء الهيكل، وفي أثناء الصلاة نطق سليمان بهذا: "وكان في قلب داود أبي أن يبني بيتا لاسم الرب إله إسرائيل. فقال الرب لداود أبي: من أجل أنه كان في قلبك أن تبني بيتا لاسمي قد أحسنت بكونه في قلبك. إلا أنك أنت لا تبني البيت بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي" {١مل٨:١٧-١٩}.

📖 فهل هذا الفكر، أو هذه الرغبة التي للملك داود، ندعوه فكرا صالحا من الله، أم شريرا من الإنسان؟! فلو كان صالحا ومن الله، ما كان الله يوحي له بهذا الفكر المرفوض؟ ولو أنه فكر شرير من الإنسان، فلماذا مدحه الرب؟ إذن بقي أن هذا الفكر صالح، ومن الإنسان.

📖 هكذا يمكننا أن نتكلم بخصوص أفكارنا اليومية.

📖 فإنه لم يوهب لداود وحده أن يفكر فيما هو صالح، إذ لا نحرم نحن طبيعيا أن نفكر ونتصور أمورا صالحة، إذ لا نشك أنه بالطبيعة توجد فينا بعض بذور الصلاح، أوجدها حنو الخالق في كل نفس.

📖 لكن هذه البذور لا يمكن أن تنمو ما لم يرعها العون الإلهي، وكما يقول الرسول الطوباوي: "إذا ليس الغارس شيئا، ولا الساقي بل الله الذي ينمي" {١كو٣:٧}.

📖 تبقى حرية الإرادة على الدوام في الإنسان، لا نهملها ولا نغالي فيها ... لأنه ما كان للرسول أن يوصي قائلا: "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" لو لم يعلم أنه يمكن للإنسان أن يتقدم في الخلاص، أو يهمله.

📖 لكن لا يتصور البشر أنهم غير محتاجين للعون الإلهي في عمل

الخلاص، إذ يكمل: "لأن اللـه هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته" {في٢:١٣}. وأيضا "لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة" {١تي٤:١٤}، "أذكرك أن تضرم أيضا موهبة اللـه التي فيك بوضع يدي" {٢تي١:٦}.

📖 لهذا فإنه في كتابته إلى أهل كورنثوس ينصحهم، ويحذرهم لئلا بعدم إثمارهم يظهروا غير مستحقين لنعمة اللـه، قائلا: "نطلب أن لا تقبلوا نعمة اللـه باطلا" {٢كو٦:١}.

📖 لأن قبول النعمة المخلصة لم يفقد سيمون شيئا لأنه قبلها باطلا، إذ لم يطع وصية بطرس المبارك الذي قال له: "فتب من شرك هذا واطلب إلى اللـه عسى أن يغفر لك فكر قلبك، لأني أراك في مرارة المر ورباط الظلم "{أع٨:٢٢،٢٣}.

📖 فالنعمة تتقدم إرادة الإنسان، إذ قيل: "إلهي رحمته تتقدمني" {مز٥٩:١٠}. وأيضا يتأخر اللـه لأجل صالحنا، حتى يختبر رغباتنا، عندئذ إرادتنا هي التي تتقدم، إذ قيل: "في الغداة {الصباح} صلاتي تتقدمك" {مز٨٨:١٣}.

📖 وهو يدعونا عندما يقول: "طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم" {رو١٠:٢١}. ونحن ندعوه إلينا عندما نقول: "كل يوم بسطت إليك يدي" {مز٨٨:٩}.

📖 وهو ينتظرنا كقول النبي: "ولذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم" {إش٣٠:١٨}. ونحن ننتظره عندما نقول له: "انتظارا انتظرت الرب فمال إلى" {مز٤٠:١}،

📖 و"رجوت خلاصك يارب ووصاياك عملت" {مز١١٩:١٦٦}.

📖 هو يقوينا عندما يقول: "وأنا أنذرتهم وشددت أذرعهم وهم يفكرون على بالشر" {هو٧:١٥}. ويحثنا أن نقوي أنفسنا بقوله: "شددوا الأيادي المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها" {إش٣٥:٣}.

📖 ويصرخ الرب يسوع: "إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب" {يو٧:٣٧}. كما يصرخ النبي إليه: "تعبت من صراخي، يبس حلقي. كلت عيناي من انتظار إلهي" {مز٦٩:٣}.

📖 الرب يطلبنا عندما يقول: "طلبته فما وجدته دعوته فما أجابني" {نش٥:٦}. والعروس أيضا تطلبه، إذ تبكي بدموع قائلة: "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي، طلبته" {نش٣:١}.

📖 ١٣- **الجهاد لا يفقد النعمة مجانيتها:**

📖 هكذا تتعاون النعمة على الدوام مع إرادتنا لأجل نفعها، وتساعدها في كل شيء، وتحميها وتدافع عنها، وذلك بطريقة يظهر فيها أنها تبحث عن بعض الجهاد الذي للإرادة الصالحة، حتى لا تبدو أنها تهب عطاياها للإنسان الخامل المتراخي.

📖 وهي تبحث عن فرص لكي تكشف للإنسان الخامل، أنه باستكانته يفقد جود النعمة. مع هذا تحسب النعمة مجانية، لأنه من أجل جهاد تافه تمنح بغنى أمجاد الخلود، التي لا تقدر وبركات الأبدية.

📖 ليس لأن إيمان اللص جاء أولاً، يقول أحد أن عطية السكنى في الفردوس لم تمنح له مجانا.

📖 ولا يمكننا أن نقول أنه بسبب كلمات الملك داود التي نطق بها تائبا قائلا: "أخطأت إلى الرب" أنه بغير مراحم الله {المجانية}، قد وهب له الغفران من خطيتين خطيرتين، إذ وهب له أن يسمع من النبي ناثان: "الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك" {٢صم١٢:١٣}.

📖 حقيقة إنه أضاف القتل إلى الزنا، وهذا بالتأكيد بإرادته الحرة، لكن انتهار النبي له هو من حنو الله.

📖 كذلك انسحاقه واعترافه بالخطأ هذا من عمله هو، أما المغفرة عن هذه الخطايا في لحظة من الزمن، فهذا عطية من الرب الرحيم.

📖 ماذا نقول عن هذا الاعتراف المختصر، الذي نطق به داود وعن

المكافأة الإلهية السرمدية منقطعة النظير، إذ نرى الرسول المبارك يثبت أنظاره بسهولة إلى عظمة المكافأة العتيدة مستهينا باضطهاداته غير المحصية قائلا: "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديا" {٢كو٤:١٧}.

📖 هذا ما يؤكده في موضع آخر قائلا: "فإني أحسب آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" {رو٨:١٨}.

📖 هكذا مهما بلغ جهاد الضعف الإنساني، لن يبلغ {بذاته} إلى المكافأة المقبلة. ووجود جهاده لا ينفي عن النعمة الإلهية كونها مجانية.

📖 لذلك فإن معلم الأمم قد بلغ درجة الرسولية بنعمة الله إذ يقول: "بنعمة الله أنا ما أنا"، وفي نفس الوقت يعلن أنه قد وافق النعمة الإلهية قائلا: "ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر من جميعهم" {١كو١٥:١٠}.

📖 فعندما يقول: "أنا تعبت" يظهر جهاد إرادته.

📖 وعندما يقول: "ولكن لا أنا بل نعمة الله" يشير إلى قيمة الحماية الإلهية. وعندما يقول: "التي معي" يؤكد تعاون النعمة معه، عندما لا يكون في كسل، أو إهمال، بل عاملا ومجاهدا.

📖 ١٣- كيف يختبر الله قوة إرادة الإنسان عن طريق التجربة؟

📖 أ. هذا أيضا ما نقرأ عنه، أن البر الإلهي قد أعان أيوب الأمين بحق في مصارعته، عندما ناهضه الشيطان في معركة فريدة.

📖 لكن لو تقدم أيوب ضد عدوه، ليس بقوته إنما بحماية نعمة الله مسنودا بالعون الإلهي من غير أي احتمال من جانبه، فإنه في خضوعه لهذه التجارب المتعددة.

📖 كم يكون للشيطان أن ينطق بعدل مفتريا بما سبق أن قاله قبلا: "هل مجانا يتقي أيوب الله؟! أليس أنك سيجت حوله ... حول كل ما له من كل ناحية؟! ولكن ابسط يدك الآن {أي اسمح لي أن أحاربه هو} "فإنه

في وجهك يجدف" {أي١:٩-١١}.

📖 لكن إذ لم يستطع العدو المفتري أن يحتج بهذا بعد المعركة، لأنه انهزم بقوة أيوب، وليس بقوة اللـه {يظهر من المقال في مجمله أنه لا يقصد تجاهل نعمة اللـه وقوته}.

📖 لا بمعنى أن نعمة اللـه فارقت أيوب، لأنها هي التي أعطت للمجرب سلطانا أن يجربه، في الحدود التي كانت ترى فيها أن أيوب يقدر أن يقاومها، وفي نفس الوقت لم تحميه النعمة من هجمات العدو بطريقة تنزع فيها فضيلته وجهاده، إنما فقط هي تعينه.

📖 بمعنى أنها لا تسمح لذلك العدو الذي هو في غاية القسوة أن ينزع عنه عقله، أو يغرقه أثناء ضعفه ببث أفكار فوق طاقته، أو النزول معه في نزاع غير متساو معه.

📖 **ب.** أحيانا يرغب الرب أن يمتحن إيماننا لكي يتقوي، ويتمجد أكثر، وذلك كما في مثال قائد المئة الوارد في الإنجيل، إذ علم الرب أنه سيشفى خدامه بنطقه كلمة، ومع هذا اختار الرب أن يقدم له هذه الوسيلة، وهي ذهابه إليه بالجسد، قائلا: "أنا آتي وأشفيه" {مت٨:٧}.

📖 وإذ غلب قائد المائة من هذا العرض الذي قدمه الرب، قال بإيمان مملوء غيرة وحرارة: "يا سيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي، لكن قل كلمة فيبرا غلامي {عبدي}" {مت٨:٨}،

📖 فتعجب الرب منه ومدحه ... فما كان يمكن أن يوجد له أساس للمديح والاستحقاق، لو أن السيد المسيح قد ميزه هكذا عن الذين آمنوا بما قد وهبه هو به {أي لو لم يكن لقائد المئة نصيب في الجهاد من جانبه}.

📖 **ج.** نقرأ عن التجربة التي بقصد اختبار الإيمان التي جلبها البر الإلهي على العظيم في الآباء، إذ قيل: "وحدث بعد هذه الأمور أن

الله امتحن إبراهيم" {تك٢٢:١}، لأن البر الإلهي أراد أن يمتحن ليس فقط الإيمان الذي أوحاه الله إليه ... بل وليظهر حرية إرادته.

📖 لذلك فإن ثبات إيمانه لم يتزكى عبثا، وقد جاءت نعمة الله التي فارقته إلى لحظة لتزكيته، جاءت تعينه إذ قيل له: "لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك وحيدك عني" {تك٢٢:١٢}.

📖 **د.** هذا النوع من التجربة الذي يمكن أن يحل بنا لأجل تزكيتنا، أخبرنا عنه معطي الشريعة في سفر التثنية. "إذا قام في وسطك نبي، أو حالم حلما، وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية والأعجوبة التي كلمك عنها قائلا: لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم" {تث١٣:١-٣}.

📖 هل عندما يسمح الله بأن يقوم مثل ذلك النبي، أو يحدث ذلك الحلم، نقول بأنه سيحمي هؤلاء الذين يختبرون في إيمانهم بطريقة لا يكون لهم فيها حرية إرادة، حيث يحاربون المجرب بقوتهم؟

📖 وما الحاجة لتجربتهم إن كان الله يعلم أنهم هكذا ضعفاء وواهنين، حتى أنهم لا يقدرون بقوتهم أن يقاوموا المجرب؟

📖 بالتأكيد ما كان للبر الإلهي أن يسمح لهم أن يجربوا ما لم يعلم أن فيهم قوة معادلة للمقاومة، بها يمكن أن يحكم عليهم حكما عادلا إن وجدوا مستحقين للعقاب أو التكريم.

📖 يتكلم الرسول أيضا عن نفس النتيجة قائلا: "إذا من يظن أنه قائم لينظر أن لا يسقط. لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" {١كو١٠:١٢،١٣}.

📖 لأنه عندما قال: "من يظن أنه قائم فلينظر ألا يسقط" أعطى إرادة حرة من جانبه، إذ يعلم بالتأكيد أنه بعد ما نال النعمة يمكن أن يثبت بالجهاد، أو يسقط خلال الإهمال.

📖 لكن عندما أضاف: "لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون" يوبخ ضعفهم وخوار قلبهم الذي لم يتقو بعد، إذ لم يستطيعوا بعد أن يقاوموا هجمات قوات الشر الروحية، تلك القوات التي يحارب ضدها هو وغيره من الكاملين كل يوم.

📖 إذ يقول لأهل أفسس: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" {أف٦:١٢}.

📖 وعندما أضاف: "ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون" بالتأكيد لا يعني أنه لا يدعهم يجربون، إنما لا يجربوا فوق طاقتهم. فالعبارة الأولى تشير إلى إرادة الإنسان الحرة والأخرى إلى نعمة الله الذي يلطف من عنف التجارب.

📖 إذن في كل هذه العبارات توجد براهين أن النعمة الإلهية تعمل في إرادة الإنسان لا لكي تحميها وتدافع عنها في كل الأمور بطريقة تجعلها لا تدافع عن نفسها بجهادها ضد الأعداء الروحيين، ينسب النصر إلى نعمة الله والهزيمة إلى ضعف الإرادة.

📖 **مثال توضيحي:**

📖 إن أردنا أن نوضح مراحم خالقنا التي لا نظير لها من أمور أرضية، ليست مساوية لها في الحنو بل لمجرد التوضيح، فإنها تشبه مربية غاية في الاهتمام تحمل طفلا في حضنها لمدة طويلة، فلكي تعلمه المشي عوض الحبو، تساعده بمد يدها اليمنى لكي يستند عليها أثناء تبديل قدميه، وفي لحظة تتركه قليلا، فإذا ما رأته يتطوح بشدة

تمسك به بسرعة، وإذ تراه يسقط تخطفه وترفعه وتحميه من السقوط أو تسمح له أن يسقط سقطة خفيفة لترفعه بعدما يكبو.

📖 لكن عندما تربيه حتى إلى الصبوة، أو قوة الشباب، أو الرجولة المبكرة، فإنها تعطيه بعض الأحمال والأثقال لا لكي تهلكه إنما لتمرنه، وتسمح له أن يتنافس مع من هم في عمره.

📖 كم بالأكثر الأب السماوي الذي هو أب الجميع يعرف كيف يحمل الإنسان في حضن نعمته، لكيما يدربه على الفضيلة أمام نظره، بواسطة تدريب إرادته الحرة، ومع ذلك يساعده في جهاده ويسمع له عندما يدعوه، وأحيانا ينتشله من المخاطر حتى بغير معرفته.

📖 ١٤- أنواع دعوة النعمة للبشرية:

📖 بهذا يتضح بوضوح أن الله بواسطة أحكامه التي لا تستقصي، وطرقه البعيدة عن الفحص {رو١١:٣٣} يجذب البشرية إلى الخلاص.

📖 ويمكننا أن نبرهن على هذا بأمثلة من الدعوات الواردة في الأناجيل. اختار الرب أندراوس وبطرس وبقية التلاميذ بواسطة حنو نعمته المجانية، بينما كانوا لا يفكرون في شفائهم وخلاصهم.

📖 حينما سعى زكا – قبل إيمانه – ليرى الرب معالجا قصر قامته باعتلائه الجميزة، فلم يستقبله الرب فحسب، بل وكرمه وشرفه بالذهاب معه إلى مسكنه.

📖 بولس أيضا بغير إرادته، وفي مقاومته جذبه الرب إليه.

📖 وآخر أمره الرب أن يتبعه ويلتصق به تماما، حتى عندما سأله أن يؤجل ذلك قليلا ليدفن والده، لم يسمح له بذلك.

📖 بالنسبة لكرنيليوس إذ كان على الدوام يثابر على الصلوات والصدقات أظهر له طريق الخلاص كمكافأة له، وبواسطة زيارة الملاك له أمره أن يستدعي بطرس ويتعلم منه كلمات الخلاص التي بها يمكن أن يخلص هو وكل بيته.

🕮 هكذا تهب حكمة الله من جوانب متعددة الخلاص للبشر بطرق متنوعة، وحنوه الذي لا يستقصى، ويعلن لكل واحد حسب طاقته نعمة جوده، حتى أنه يريد أن يهب شفاءه ليس حسب مقياس محدد لقوة جلاله، إنما حسب مقاييس الإيمان التي يجدها في كل واحد، أو حسبما يعطي هو بنفسه كل واحد.

🕮 لأنه عندما آمن شخص أنه لأجل برئه من البرص تكفيه إرادة المسيح وحدها لشفائه قال للرب: "أريد فأطهر" {مت٨:٣}.

🕮 وعندما توسل آخر أن يأتي الرب ويقيم ابنته الميتة عن طريق أن يمسكها بيده. دخل لرب منزله كما ترجى ذلك ووهب له ما قد سأله.

🕮 وآخر آمن أن ما هو رئيسي لخلاصه يتوقف على مجرد أمر {كلمة} من فم الرب وأجاب: "قل كلمة فيبرأ غلامي {خادمي}" {مت٨:٨}، قال له: " اذهب وكما آمنت ليكن لك " {مت٨:١٣}.

🕮 وآخرون إذ ترجوا الشفاء من لمس هدب ثوبه، وهبهم عطية الشفاء العظيمة. البعض عندما سألوه وهبهم الشفاء من أمراضهم. وآخرون قدم لهم الشفاء من غير أن يسألوه.

🕮 وآخرون حثهم لكي يطلبوا ذلك قائلا: "أتريد أن تبرأ؟" {يو٥:٦}.

🕮 وآخرون عندما كانوا بلا رجاء أعانهم من تلقاء نفسه.

🕮 إنه يطلب إرادة البعض قبل أن يشبع احتياجاتهم قائلا: "ماذا تريدان أن أفعل بكما" {مت٢٠:٣٢}.

🕮 وبالنسبة لأخرى لم تكن تعرف الطريق لتحقق ما ترغب فيه، أظهر لها الطريق في حنو قائلا: "إن آمنت ترين مجد الله" {يو١١:٤٠}.

🕮 سكب أعماله الشفائية على البعض كقول الإنجيلي: "وشفى مرضاهم" {مت١٤:١٤}.

🕮 لكن بالنسبة لآخرين توقفت عطايا الله التي لا تحد إذ قيل: "ولم

يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة ... وتعجب من عدم إيمانهم" {مر٦:٥،٦}. وهكذا يظهر أن جود الله فعلا، يتوقف على طاقة الإيمان حتى أنه قيل: "بحسب إيمانكما ليكن لكما" {مت٩:٢٩}،
📖 ولآخر قيل: "اذهب وكما آمنت ليكن لك "{مت٨:١٣}، ولآخر "ليكن لكِ كما تريدين" {مت١٥:٢٨}، وأيضا: "إيمانك قد شفاك" {لو١٨:٤٢}.

📖 ١٥- النعمة الإلهية تسمو بالحدود الضيقة التي للإيمان البشري:

📖 ليته لا يتصور أحد أننا قدمنا هذه الأمثلة لكي ننسب النصيب الأكبر من خلاصنا على إيماننا نحن، وذلك كما يظن البعض بتصورات أرضية، هؤلاء الذين ينسبون كل شئ لحرية الإرادة، قائلين أن نعمة الله توزع حسب استحقاقات كل إنسان.

📖 وإنما نؤكد بوضوح رأينا الذي يعلن بجلاء لبس، أن نعمة الله غاية في السمو والوفرة، وأحيانا توسع الحدود الضيقة لنقص الإيمان البشري. نذكر ما حدث في حالة الحاكم الوارد في الإنجيل، الذي آمن أنه من الأسهل أن يشفي له ابنه من مرضه، عن أن يقيمه من الموت مستعجلا الرب ليذهب إليه في الحال قائلا: " يا سيد انزل قبل أن يموت ابني " {يو٤:٤٨}،

📖 ولو أن الرب وبخه لقلة إيمانه بهذه الكلمات: "لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب"، إلا أنه لم يعلن نعمة لاهوته قدر ضعف إيمان الرجل، ولا نزع مرض الحمى المميت بحضور الرب بالجسد كما أراد الرجل، إنما بكلمة قوته قال له: "اذهب. ابنك حي" {يو٤:٥٠}.

📖 نقرأ أيضا أن الرب سكب من غنى نعمته الغنية في حالة شفاء المفلوج، الذي وإن كان قد سأل من أجل شفاء جسده، إلا أنه وهبه شفاء النفس أولاً بقوله: "ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك" {مت٩:٢}.

📖 وإذ لم يصدقه الكتبة أنه يقدر أن يغفر خطايا البشر، شفى أعضاء الرجل بقوة كلمته نازعا مرض الفالج بالقول: "لماذا تفكرون بالشر

في قلوبكم؟ أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك. أو أن يقال قم وأمش. ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذ قال للمفلوج: قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك" {مت٩: ٤-٦}.

📖 بنفس الطريقة في حالة الإنسان الذي كان ملقيا ٣٨ سنة بجوار حافة البركة، مترجيا الشفاء من حركة الماء، فقد أظهر غنى جوده له من غير أن يسأله. فعندما رغب أن يقيمه قال له: "أتريد أن تبرأ" {يو٥: ٦}.

📖 وعندما اشتكى من عجز المعونة البشرية قائلا: "ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء" {يو٥: ٧}، وهبه الرب في حنوه العفو عن عدم إيمانه وجهله وأبرأه وأعاده إلى صحته الأولى، ليس كما كان يتوقع، بل كما يريد الرب نفسه قائلا له: "قم. احمل سريرك وأمش" {يو٥: ٨}.

✠ ✠ ✠

ملخص المبادئ

📖 الطهارة الداخلية عطية مجانية تهبها النعمة الإلهية، وهي لا تعطى إلا للمجاهدين المثابرين بقلب منسحق.

📖 نعمة السيد المسيح حاضرة بين أيدينا كل يوم ... غايتها وعملها أن تجتذب كل الناس لكي يخلصوا.

📖 الجهاد والنعمة طريق واحد ... فهما متلازمان لا يمكن فصلهما، لأن الجهاد الحقيقي لا يمكن القيام به بغير النعمة، ولا النعمة تعمل في المتراخين.

📖 فلا عجب إن رأينا الله يأمرنا بوصايا معينة لتنفيذها ... وفي نفس الوقت نطلب نحن في جهادنا أن ينفذ الله ما أمرنا به في حياتنا.

📖 ونذكر في ذلك الأمثلة التالية:
📖 اللـه يأمرنا: "اقتربوا إلى اللـه" {يع٤:٨}،
📖 و "تعالوا إلى يا جميع المتعبين" {مت١١:٢٨}،
📖 في نفس الوقت لا يقدر أحد أن يأتي إليه "ما لم يجتذبه الآب" {يو٦:٤٤}. الوصية تقول: "مهد سبيل رجليك" {ام٤:٢٦}،

📖 ونحن نطلب من اللـه أن "يسهل لنا الطريق" {مز٥:٨}.
📖 الوصية تأمر: "اطرحوا عنكم كل معاصيكم" {حز١٨:٣١}.
📖 ونحن نطلب عمل اللـه، القادر وحده أن ينزع عنا القلب الحجري {حز١١:١٩،٢٠}. الرب يأمر: "اغسلي من الشر قلبك" {إر٤:١٤}،
📖 ونحن نصرخ إليه: "طهرني بالزوفا فأطهر" {مز٥١:٧}.
📖 الوصية تقول: "ازرعوا لأنفسكم نور المعرفة" {هو١٠:١٢}،
📖 والكتاب يعلمنا أن اللـه هو "المعلم الإنسان معرفة" {مز٩٤:١٠}.
📖 الوصية تطلب: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك" {أم٤:٢٣}،
📖 مع أن "سلام اللـه الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم" {في٤:٧}.
📖 الوصية تنادي: "انحلي من ربط عنقك" {إش٥٢:٢}،
📖 مع أن "الرب يطلق الأسرى" {مز١٤٦:٧}.
📖 باختصار يطالبنا الرب على لسان رسوله: "اركضوا لكي تنالوا" {١كو٩:٢٤}، وفي نفس الوقت يقول: "لا يقدر أحد أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعكي من السماء".

📖 على كل فإن عمل اللـه لا يُقيد، بعيد عن الفحص وفوق كل استقصاء، ولا يمكننا أن نقول أيهما يبدأ أولاً الجهاد أم النعمة، ولا تتوقف نعمة اللـه في سخائها على طريقة واحدة، فهناك طرق كثيرة منها: اختيار اللـه – بحنو نعمته المجانية – أندراوس وبطرس ... من غير أن يفكروا في شفائهم وخلاصهم.
📖 اختار زكا لأنه كان يناهض، ويبحث ليرى يسوع من هو.

📖 جذب بولس بغير إرادته، وهو مقاوم للرب.

📖 جذب آخر ليتبعه مانعا إياه أن يذهب ويدفن أباه. أعلن ذاته ورسالته لكرنيليوس، من أجل مثابرته على الصلوات والصدقات.

📖 النعمة الإلهية تهب الإنسان حسب طاقة إيمانه:

📖 فمن كان يكتفي أن يريد الرب له الشفاء ليشفى كان يقول له: "أريد فأطهر".

📖 ومن كان يطلب كلمة من فم اللـه يقول له: "كما آمنت يكون لك".

📖 ومن يؤمن بلمس هدب ثوبه يشفى، هكذا حسب إيمانه هذا يشفى.

📖 ومن يطلب أن يأتي الرب إلى بيته ويمسك بيد مريضه ... هكذا قدر إيمانه يهبه.

📖 أحيانا توسع النعمة حدود إيماننا الضيقة:

📖 فالرجل الذي طلب من الرب أن يسرع لئلا يموت ابنه ... أعطاه شفاء ابنه من غير ن يذهب معه.

📖 ومرثا التي قالت له: "لو كنت ههنا لم يمت أخي" {يو١١: ٢١}، أقام لها لعازر أخيها بعدما أوضح لها إمكانياته أنه هو القيامة.

📖 أحيانا يهب الرب نعمته من غير أن نسأله ... كما فعل مع مريض بيت حسدا الذي ذهب إليه بنفسه وسأله: "أتريد أن تبرأ".

📖 وأحيانا يمتنع عن تقديم نعمته بسبب عدم الإيمان.

📖 أخيراً فإن نعمة اللـه تعمل في المجاهدين وتعينهم، دون أن تفقدهم حرية إرادتهم حتى يتكللوا، هذا الجهاد مهما بلغ قدره لا ينفي عن النعمة مجانيتها.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ حماية الله للأب شيريمون ـ صفحة ٢٤٩ ـ ٢٦٢



{٥}

قديسون آخرون

📖 ١٤٠- البعض عندما يطيع الوصايا بنشاط، يتوقعون أن هذا يفوق خطاياهم، والبعض الآخر الذين يطيعون الوصايا بدون هذا الافتراض الجريء، يربحون نعمة الذي مات. يجب علينا أن نفكر فيمن منهما على صواب.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٥







{٣٦} الراهب يؤمن
بتنوع طرق الخلاص

{١} مار إسحق السرياني	{٢} القديس مكاريوس	{٣} القديس يوحنا السلمي
{٤} كتاب فردوس الآباء	{٥} الأنبا أنطونيوس	{٦} قديسون أخرون

{١}
مار إسحق السرياني

📖 قبل كل شيء ينبغي أن تعلم أن تدابير المسيحية تنقسم إلى طرق كثيرة متنوعة، وذلك لمعرفة المسيح سيدنا بعجز وضعف طبع بني البشر وكثرة اختلاف آراء النصارى، إذ ليس الجميع يريدون أو يستطيعون أن يسلكوا في طريق الكمال التعبة العسرة.

📖 لكي يدركوا بعمل الجسد، وعرق النفس ذلك الشيء الذي من أجله أدركهم المسيح، أي أن يحبوه بالكمال بعمل وصاياه المحيية حتى إلى الموت مثلما أحبهم هو بالتمام، وأظهر حبه لهم بالفعل بكل تعب وتجربة احتملها من أجلهم حتى إلى موت الصليب المُهين - فلهذا استعمل معهم الرحمة، فوضع قدامهم طرقاً كثيرة وسبلاً مختلفة لكي

الذي لا يقدر أن يسير في الطريق التعبة لأجل صعوبتها يسير في الأخرى لأجل سهولتها حتى لا يخيب أحد من النصارى من ميراث تنعم ملكوت السماء الذي أنعم به عليهم بسفك دمه من أجلهم.

📖 لأن كل إنسان بحسب محبته لربنا، وبمقدار عمل وصاياه هكذا تكون مكافأته ويكون تنعمه. وقد قال ربنا: «في بيت أبي منازل كثيرة» وقال بولس الرسول: «إن نجماً يمتاز عن نجم في المجد، هكذا أيضاً يكون في قيامة الأموات». ولهذا قلنا إنه يوجد اختلاف كثير في سيرة المسيحية، فكل واحد أفضل من رفيقة وأكمل.

📖 تدبير العلمانيين النصارى الحقيقيين شيء، وتدبير المتورِّعين شيء آخر، وكذلك آخر هو تدبير الرهبان الذين لا يتخذون نساء ولا يأكلون لحماً، وهم أقل من المتوحدين وأفضل من المتورعين. هؤلاء الرهبان يزرعون ويحصدون ويخدمون من يطرقهم، لأن أديرتهم مبنية على قارعة الطريق. وهناك أيضاً تدبير المتوحدين المبتدئين.

📖 وهؤلاء هم سكان في مجامع كنوبيون، ثم تدبير المتوحدين المنفردين في القلالي ويحفظون السكوت، وتدبير المتوحدين الذي يحفظون سكون الأسابيع أي صوم سيدنا وصوم الرسل وصيام الأنبياء.

📖 وكذلك هناك قانون وتدبير المتوحدين الذين يجلسون منفردين خارج المجامع وفي البراري والمغاير. وآخر هو تدبير وسنن المتوحدين المتنقلين، كالذين كتب عنهم الأب إشعياء، وكالسبعة الذين مضوا إلى الأب سيشوي. وآخر أيضاً هو التدبير العالي الكامل الذي للسواح. ويقصر بنا الوقت أن نتكلم عن أشكال وتدابير هذه الرتب المختلفة، لأن كل رتبة منها تحتاج ميمراً ليظهر ما هو تدبيره وما هي كيفية عمله.

{٢}

القديس مكاريوس الكبير

🕮 **صوت يوحنا المعمدان - وكرازة الرسل:**

🕮 وماذا يمكن أن يكون أكثر غبطة، من الصوت الخالد ليوحنا، عندما يشير إلى الرب أمام عيوننا قائلاً: "هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" {يو ١: ٢٩}.

🕮 ٦- حقاً "من بين المولودين من النساء ليس أعظم من يوحنا المعمدان" {متى ١١: ١١}، فانه هو تكميل الأنبياء، وخاتمتهم جميعاً.

🕮 كل الأنبياء تنبأوا عن الرب، وأشاروا من بعيد إلى مجيئه.

🕮 أما يوحنا فتنبأ عن المخلص، وأظهره أمام عيون الجميع، صارخاً بصوت عال وقائلاً: "هوذا حمل الله" {يو١: ٢٩}.

🕮 فما أحلى وأجمل صوت ذلك الذي يظهر المخلص مباشرة، ويعلنه مبشراً به، انه لا يوجد أعظم من يوحنا في مواليد النساء. "ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه" {متى ١١: ١١}.

🕮 أي المولودين من الله، من فوق.

🕮 أي الرسل، الذين نالوا باكورة الروح المعزي.

🕮 لأنهم حسبوا أهلاً لأن يكونوا شركاء معه في الدينونة، يجلسون معه في عرشه. وهم قد جعلوا محررين، ومنقذين للناس.

🕮 فتجدهم يشقون بحر القوات الشريرة، ويخرجون نفوس المؤمنين، وتجدهم فلاحين في كرم النفوس.

🕮 وتجدهم أصدقاء للعريس، يخطبون النفوس للمسيح كما يقول الرسول: "إني خطبتكم لزوج واحد" {٢كو ١١: ٢}.

🕮 وتجدهم يعطون الحياة للناس.

🕮 وبالاختصار تجدهم بطرق كثيرة، وأنواع مختلفة يخدمون الروح.

📖 هذا هو الصغير الذي هو أعظم من يوحنا المعمدان.

📖 ٧- وكما أن الفلاح يقود زوج البقر مربوطين بنير لكي يحرث الأرض. هكذا الرب يسوع الفلاح الصالح الحقيقي، يقود الرسل معاً اثنين اثنين، وقد أرسلهم لكي يفلح، ويحرث بهم أرض أولئك الذين يسمعون، ويؤمنون حقيقة.

📖 ولكن ينبغي أن نقول أيضاً أن ملكوت الله، وكرازة الرسل ليست في الكلمة التي تسمع فقط. مثل إنسان يعرف الكلمات، ويستطيع أن يتكلم، ويسمعها للآخرين، بل أن الملكوت هو قوة، وعمل الروح.

📖 وهذا ما حدث للأسف لبني إسرائيل، الذين كانوا يدرسون الكتب المقدسة، وكان الرب هو موضوع دراستهم، ولكن لعدم نوالهم الحق نفسه، نقل الميراث منهم إلى آخرين.

📖 هكذا أولئك الذين يشرحون كلمات الروح للغير، بينما هم أنفسهم لا يملكون الكلمة بقوة الروح، ومع ذلك ينقلون الميراث للآخرين.

📖 والمجد للآب وللابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الثامنة والعشرون ـ صفحة ٢٢٥ ـ ٢٢٧

📖 **سؤال**: ما معنى قول مرثا للرب عن مريم "إني مجتهدة في خدمة كثيرة بينما هي جالسة عند قدميك" {لوقا ١٠: ٣٩، ٤٠}.

📖 **الجواب**: أن ما كان يجب أن تجيب به مريم على مرثا، سبق الرب وأجابها به وقال انها قد تركت كل شيء وجلست عند قدمي الرب، وصرفت النهار كله في تسبيح الله، وهكذا فان جلوسها كان بسبب المحبة. ولكن لكي تتضح كلمة الله أكثر، انصتوا لما أقول. أن أي إنسان يحب يسوع، ويلازمه بغيرة وحب وليس بطريقة عابرة، بل يلتصق به ويثبت فيه بمحبة شديدة.

📖 فان الله يسبق ويرتب لمثل هذه النفس، لتنال جزاء لمحبتها، رغم أن الإنسان لا يكون قد عرف حينئذ ما الذي سيناله من الله، أو ما هو

النصيب الذي سيهبه الله للنفس. فحينما أحبته مريم وجلست عند قدميه فان العطية التي وهبت لها لم تكن موهبة مؤقتة، بل قد افاض في داخلها نعمة خفية من ذات طبيعته.

📖 والكلمات التي تكلم بها في سلام، إلى مريم كانت كلها روحاً، وقوة، ولما دخلت هذه الكلمات في قلبها، صارت نفساً في نفسها وروحاً في روحها، وملأت القوة الإلهية قلبها، وحيثما تحل هذه القوة فهي تبقى هناك على الدوام، كميراث ونصيب لا يمكن أن ينزع، لهذا السبب، فإن الرب الذي يعرف عطيته لها قال "إن مريم اختارت النصيب الصالح الذي لن ينزع منها" {لو ١٠: ٤٢}، ولكن بعد ذلك بفترة، فان ما فعلته مرثا بغيرة واجتهاد في طريق الخدمة، أدخلها كذلك إلى نفس تلك النعمة. فنالت هي أيضاً تلك القوة الإلهية في نفسها.

📖 فجميع الذين يعطون أنفسهم ليخدموا الرب. وبغيرة يفعلون كل شيء باجتهاد وإيمان ومحبة لله، فان نفس هذه الخدمة تدخلهم، بعد فترة من الوقت، إلى معرفة الحق ذاته. لأن الرب ينكشف لنفوسهم، ويعلمهم طرق الروح القدس.

📖 كثيرة هي الطرق المؤدية للخلاص، أو للهلاك، ولذلك كثيرا ما يحدث أن ما لا يناسب الواحد يوافق الآخر، وقصد كليهما مرضي عند الله.

{٣}
القديس يوحنا السلمي

كثيرة هي الطرق المؤدية للخلاص، أو للهلاك، ولذلك كثيرا ما يحدث أن ما لا يناسب الواحد يوافق الآخر، وقصد كليهما مرضي عند الله.

{٤}

كتاب فردوس الآباء

٥٧- فلكلٍّ من الرتبتين {العلماني والراهب} إذًا، يوجد سيّدٌ واحدٌ هو الرب. لأنه كما أنّ نبات الحنطة يوجد فيه التبن والبذرة، هكذا يوجد لنفس الإله مَنْ يعيشون بالتقوى في العالم، والذين اختاروا حياة التوحد.

ولا شكّ أنه توجد حاجةٌ لكلٍّ منهما، حيث إنّ أوراق النبات لها حاجة لتدعيم وحماية البذرة، كما أنّ إنتاج الثمرة له أهمية أيضًا، لأنّ الثمرة هي ينبوع العملية الزراعية كلها.

وكما أنه لا يمكن أن يكون الشيء عشبًا وبذرةً في نفس الوقت، هكذا أيضًا يستحيل إنتاج ثمرة سماوية مع أُبّهة العالم المحيط بنا.

ولكن عندما تسقط الخضرة، وتجفّ الساق، يكون النبات المنتِج للحبوب مُعَدًّا للحصاد. وهكذا، أيتها الأخوات، في حالتنا، فبعد أن نطرح عنا خداع العالم {الذي هو مثل أوراق الشجر} ونجفّ بالجسد {مثل ساق النبات}، وبمجرد أن نسمو بأفكارنا، نتمكّن من أن نعطي "بذرة" الخلاص.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٥٤



{٥}

القديس الأنبا أنطونيوس

📖 **سُئل القديس أنطونيوس: ما هو العمل الجيد؟**

📖 فقال: الأعمال الجيدة كثيرة، لأن الكتاب يقول إنّ إبراهيم كان مضيِّفًا للغرباء وكان الله معه، وإيليا كان يؤثر سكنى البرية والوحدة وكان الله معه، وداود كان متضعًا وديعًا وكان الله معه، ويوسف كان حليمًا عفيفًا وكان الله معه، فما يحبُّه قلبك من كل هذه افعله من أجل الله، واحفظ قلبك، وإذا قاتلتك أفكار كثيرة، فقاتل رأسها، فإن هزمته هُزِم باقيها.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٣

📖 **اختلاف طرق الدعوة الرهبانية من شخص لأخر:**

📖 على ما أرى، إنّ النفوس التي بَلَغَتْ إليها بشارة روح الله، من رجال ونساء، هي على، ثلاث رُتب {دعوات الى الرهبنة}:

📖 الرتبة الأولى: هم الذين قبلوا - بناموس الطبيعة، والحرية المخلوق فيهم أولاً - ما بَلَغ إليهم من البشرى شفاهًا، ولم يتوانوا بل أسرعوا باستعداد الطاعة، كما كان أبونا إبراهيم مستعدًّا بناموس الطبيعة، فكلَّمه الله قائلاً:

📖 "أُخرج من أرضك ومن بنى جنسك وادخل إلى الأرض التي أُريك إياها" {تك١٢:١حسب النص}، ولا تكن ذا قلبين.

📖 فاستعدَّ إبراهيم لهذه الدعوة وصار مثالاً للذين يبتدئون. وإلى الآن هذه الدعوة ثابتة لمَنْ يريد الدخول في هذا الشكل {السيرة الرهبانية}، وإذا هم صنعوا هكذا حتى تكون قلوبهم مستعدّة أن تتبع روح الله، فهم بارتياحٍ يقبلون المواعيد. هذه هي صفة الرتبة الأولى.

📖 الرتبة الثانية: هم الذين يسمعون الناموس المكتوب، وهو يشهد لهم بالدينونة العتيدة أن تكون للخطاة، والمواعيد الصالحة العتيدة أن تكون لمن يسعى صالحًا. وبهذه الشهادات المكتوبة في الناموس تتيقّظ

نيّـاتهم ويطلبـون الـدخول فـي هـذه الـدعوة، كمـا قـال داود النبـي إنّ "ناموس الرب يحيى النفوس"،

وقال أيضًا: "كلامك يُضيء لي وناموسك يعلِّم الأطفال" {مز١٩: ٧، ١١٩: ١٣٠ حسب النص}. والمكتوب مثل هذا كثير.

الرتبة الثالثة: هم الـذين كانـت قلـوبهم قاسـية ومـدمنون علـى فعل الخطايـا، فيجلـب الله الرحـوم علـيهم مصـاعب وشـدائد حتـى تتنبَّـه سـرائرهم، ونيَّـاتهم لكثـرة مـا يـأتي علـيهم، فينـدمون ويرجعـون ويسـتعدّون ويـدخلون إلـى هـذه الـدعوة، ويتوبـون مـن كـل القلـب، ويقبلون المواعيد كالرتبتين الأولى والثانية.

هذه هي الرتب الثلاث {الـدعوات} التي تُدعَى بها النفوس لكي ترجع إلى الرب حتى تنال نعمة دعوة ابن الله.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٢٧

{٦}

قديسون أخرون

٤٠- الله يخلص إنسانا من خـلال المعرفـة الروحيـة {يقصد المعرفة المبنية على العمل والجهاد}، وآخر من خلال البراءة والبسـاطة. أن تأخذ في الاعتبار أن الله لا يرفض البسيط {أي ٨:٢٠س}.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٢٩٨

